فصح

فرح . صداقة . حرية

مطرانية الروم الأرثوذكس
الكويت

مجلة غير دورية تُوزع داخل الكنيسة

العدد ٦، آب (أغسطس) ٢٠١٠

لما تجلّيت أيُّها المسيح الإله في الجبل أظهرتَ مجدَك للتلاميذ حسبما ما استطاعوا.
فأطلِعْ لنا نحنُ الخَطأة نورَك الأزلي، بشفاعات والدة الإله، يا مانحَ النور المجدُ لك.

تجلّي ربّنا يسوع المسيح

فصح

مجلة فصح – عدد ٦، آب (أغسطس) ٢٠١٠

مطرانية بغداد والكويت
وسائر الخليج العربي للروم الأرثوذكس

أسرة المجلة

رئيسة التحرير
كاتي بنيامين عوض

تصميم وإخراج
فادي وديع عدره

التحرير
الأرشمندريت أفرام الطعمي
الأب يوسف عرب
لؤي شاهين
إليان حبوب

نشكر
كل من ساهم
في إغناء هذه المجلة

الفهرس

كلمة العدد	الأب إيليا متري	٠١
القدّيس النبيّ إيليّاس التّسبيتيّ	من سنكسار الكنيسة	٠٣
العين الحاسدة - العين الشّريرة	الأرشمندريت أفرام الطعمي	٠٦
الرّسائل الجامعة	ماريّا قبارة	٠٩
آب... بين التّجلّي والرّقاد	فؤاد الصايغ	١٢
سرّ الميرون المقدّس	نشرة مطرانيّة بيروت	١٣
كيف نوفّق بين الطاعة في الكنيسة وبين التغيير؟	د. كوستي بندلي	١٥
أيقونة التّجلّي	الأرشمندريت أفرام الطعمي	١٩
الرموز في الأيقونات	الأرشمندريت بندلايمون فرح	٢٢
صميم الحياة... الرّجل الذي لم يبك	الأديبة أسمى طوبى	٢٦
التّجلّي تألّه الإنسان بالنّعمة	الأرشمندريت أفرام الطعمي	٢٩
أسئلة وأجوبة	لؤي شاهين	٣٤

أَحَبّنا أَوّلاً

أن يقوم بعض فتية ليقولوا إنّنا مكلّفون إلهيّاً أن نقود أنفسنا وَمَنْ معنا إلى اللّه الحيّ أبدًا، هذا، لَعمري، عجبٌ ليس مثلهُ عجب. عجيب اللّه فعلاً، اللّه الّذي شاء، بحكمته الأزليّة، أن يختار «غير الموجود»، ويتمّ قول الكتاب: «**مَن افتخر، فليفتخر بالرّبّ**» (كورنثوس ١: ٢٩- ٣١).

لن أتناول قصّةً أعرف أنّ كثيرين غيري قادرون على أن يَرْووها أحلى. فقط، سأعترف، (من دون أن أُحسَب أنّني أشير إلى خيرٍ فيّ ما زال لحمي ودمي يعاندانه)، بأنّ ما جرى في تاريخنا الحديث، منذ أن مَنّ اللّه علينا بأن ننهض إلى وعي حبّه، يأخذ بمجامع قلبي. يصيبني باندهاش كلّيّ. يفرحني فرحاً لا يوصف. يجعلني أؤثر، بحرّيّة مطلقة، أن أسرع الخطى، أنا الّذي تركت الكهولة ورائي، لأتسلّق تلك الجمّيزة عينها الّتي سبقني إليها آخر، وأرى، بأمّ عينيّ، ابن اللّه يمشي على طرقاتنا، يدعونا إلى أن نربط مصيرنا بمصيره. هل تُراني أتجاوز، إن رأيتُ اللّه في جماعة أضناها الوَلَه؟ هل أغيّر قول الكتاب، فأفتخر ببشر؟ إن كان ربُّنا قد شاء أن يرتدي ترابنا، فنحن لا شيء إن لم نتيقّن أنّه باقٍ فينا أبداً.

جماعة أضناها الوَلَه. فهذا الإله الحيّ، قالت جماعة النّهضة إنّه أحبّ العالم أوّلاً. وثقتي بأنّ هذا، فحسب، كلّ ما أرادت تبليغه عبر سنواتها كلّها. كلُّ الخطب الملهبة، كلُّ الصّفحات المنيرة، كلُّ الكلمات الّتي قيلت إنْ همساً أو علناً، كلُّ دمعةٍ سقطت أو فرحٍ سطع، كلُّ خير أُنجز ويُنتظَر أن يُنجَز، إنّما أنجبه أنّ اللّه قد «**أحبّنا أوّلاً**» (١يوحنّا ٤: ١٩). فاللّه، الّذي قال كلّ شيء عندما أرسل ابنه الوحيد و «**جاد به لكيلا يهلك كلّ من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبديّة**» (يوحنّا ٣: ١٦)، أشار إلى الّذين فهموه أن يردّدوا. لا يستطيع أحد أن يزيد شيئاً على ما عمله اللّه من أجل خلاصنا. «**لا يستطيع أن يضع أساساً غير الموضوع**».

ربّما يعترض قارئ على ما يقرأه هنا، ويدفعه اعتراضه إلى أن يسأل: «إذاً، أين الجديد في ما أتى به التّيّار النّهضويّ؟». وجوابنا أنّ الأعضاء في مدارس الأحد الأرثوذكسيّة لم يدّعوا، يوماً، أنّهم قد أتوا بأمر جديد. كلّ ما فعلوه أنّهم أخذوا هذا الجديد البرّاق، ورموه على واقعٍ يعوزه.

هل ما زلت أفتخر ببشر؟

أمّا اللّه، فيأمرنا بأن نأتي من خلاصه المستمرّ، من محبّته الغنيّة والمحييّة. وهذا ما يجب أن يكون لسان حالنا: أن نفتح عيوننا وقلوبنا على محبّة اللّه، وندلّ عليها وحدها. مَنْ أناروا قلوبنا، ما زال صوتهم يصرخ فينا:

«**إيّاكم، ثمّ إيّاكم، أن تحفظوا محبّة الله في خزائن الماضي، وتقفلوا عليها، وترموا المفتاح بعيداً منكم. إن فعلتم، تموتون برداً وضياعاً. تصيرون دماراً وحديثاً وسخريّة**» ((تثنية الاشتراع ٢٨: ٣٧)). فالحقّ، كلّ الحقّ، أن تحيوا بذاك الّذي أحبّكم أوّلاً، ويرى كلٌّ منكم نفسَهُ فيه إنساناً جديداً. ربّما ثمّة مشاكل، تضربكم، تجعل بعضكم يتلهّون عن بوح الحقّ. ارموا كلّ مشكلة على مَنْ بيده، وحده، حلّها. هيّا، افعلوا الآن. واطفروا أنتم كما تطفر الأيائل. فالمحبّة، الّتي خصّكم الله بها، هي عرس دائم. فغنّوا، وارقصوا. هل تذكرون ذلك الفتى الّذي شطر نفسه عن أبيه، ثمّ عاد إلى نفسه ثمّ إلى أبيه (لوقا ١٥: ١١- ٣٢)؟ كان لعودته ابتهاج العرس. أما قرأتم أنّ أخاه الأكبر، عندما عاد إلى البيت واقترب من دارهم، «سمع غناءً ورقصاً»؟ كلٌّ مَنْ يقترب من دار الله، أو كلّ مَنْ ساهمتم في اقترابه، يجب أن تملأ أذنيه أصواتُ أفواهكم وأيديكم وأرجلكم. عيشوا كما لو أنّكم في عرس، وادعوا النّاس إلى العرس. لا تقبلوا أحداً بعيداً. هذه انطلاقة خاطئة. لا تسمحوا لأحد بأن يقول عن نفسه ما قاله شاعر عربيّ: «لا أعرف أين أمضي هذه اللّيلة / وكلّ ليلة / الأرصفة الّتي أعبرها / تلفظ خطواتي كالدّواء المرّ / الجدران الّتي ألمسها / ترتعش، تحت أصابعي، كالشّفاه قَبْلَ الزّئير / أحسد المسمار / لأنّ هناك خشباً يضمّه، ويحميه». النّاس يحتاجون إلى مَنْ يضمّهم، ويردّ عنهم شرّ الأذى. وإن لم تكن لمعظمهم جرأة الشّعراء، ليُقِرّوا بذلك، فثقوا أنتم بأنّهم يحتاجون. ثقوا، ثقوا بأنّكم، إن لم تحبّوا كلّ إنسان، أيّاً كان، فلا تكونوا قد فهمتم أنّني أحببتكم. أحبّوا، تزهر صحارى أرضكم، وتنبت عنباً وزيتوناً».

أن نثق بأنّ الله أحبّنا أوّلاً، لَهُوَ، لَعمري، برنامج حياة دائم، خارطة طريق إلى القلب الّذي لم يطلب الله منّا سواه. «**فيا بُنيّ، أعطني قلبَكَ**» (أمثال ٢٣: ٢٦)، كلماتٌ تخترق الأزمنة والأمكنة لاهثةً، فقيرةً، تستجدي أن يُصغي النّاس إليها، لتغيّر طاعتها الكون، وتصنع كلّ شيء جديداً. وهذه الكلمات عينُها ارتضى الرّبّ، بتواضعه العجيب، أن نذكرَها، ونذكّرَ بها، ما حيينا. أرادنا أن نتعطّر بها، ونرميها على طرقات النّاس، في أزقّتهم، وفي البيوت الّتي سَيّجها النّسيان، ليفطن كلّ مَنْ تنقصه فطنة أنّ الله، الّذي أحبّنا أوّلاً، مازال يطلب وُدّنا.

عندما قال القدّيس غريغوريوس بالاماس إنّ أشنع خطيئة هي عدم الإحساس بالقيامة، كان- كما يجب فهمه- يريد عدم الإحساس بأنّ الله قد أحبّنا أوّلاً. فكيف نبقى على وعي أنّ الله خصّنا بحبّه أوّلاً؟ هذا ما يجب أن يسكن أفئدتَنا في حلّنا وترحالنا، ومتى عصفت بنا الشّدائد، وكلّما التقينا، وكلّما أردنا أن نقول شيئاً لأنفسنا، أو لِمَن يعرف، أو لِمَنْ صدأت أذناه من افتقارها إلى سماع كلمة الحقّ، لنحيا، معاً، أنّ الله أحبّنا أوّلاً، ويحبّنا دائماً.

هذا هو تكليفُنا وحياتُنا وافتخارُنا أبداً.

الأب إيليّا متري

القدّيس النّبيّ إيليّاس التّسبيتيّ

من سنكسار الكنيسة

عاش هذا النّبيّ قبل ميلاد السّيّد المسيح بحوالي تسعمئة سنة. تُعيّد له الكنيسة في العشرين من تموّز، و تروي لنا أيقونة هذا القدّيس بعضاً من سيرة حياته، إذ يلاحظ النّاظر إليها ملامح غيرة وحماس، وكأنّ صاحبَها يريد أن يردّ إلى عبادة الإله الحقيقيّ هذا الشّعب الّذي تحجّر قلبه وصمّت آذانه وعميت أبصاره وتفشّت في صفوفه البدع، فانقاد إلى الكفر و الضّلال و اتّجه إلى الخطيئة و ابتعد عن عمل الخير وانغمس في الشّرور والآثام فاقد الحياء.

في أيّام النّبيّ إيليّا، ابتعد الشّعب عن عبادة الإله الواحد وسجد للوثن الّذي كانت تسجد له امرأة الملك آخاب الوثنيّة إيزابيل، فحاد عن الأخلاق الحميدة والسّمعة الشّريفة بحيث لم يجدِ النّبيّ إيليّا بدّاً من أن يتصدّى لهذا الواقع الفاسد وهو المصلح الكبير الّذي تحدّث عنه القدّيس أبيفانيوس القبرصيّ فقال:«إنّ رجالاً أتقياء ظهروا لوالده سوفاخ متهلّلين لمولد ابنه إيليّا وهم محاطون بألسنة من النّار الملتهبة». عاش رجل الله هذا في البرّيّة ولم يتزوّج، بلِ انبرى يناضل ويؤدّب ويهزّ سيف الاصلاح بذراعه القويّة. كان طويل الشّعر مقداماً «متمنطقاً بمنطقة من جلد على حقويه» (الملوك الثّاني ١:٨) و كان يخالط أبناء الشّعب ليعلّمهم الإيمان القويم ويبعدهم عن عبادة البعل ويحذّرهم من العقاب الرّبّانيّ. قال مرّة لملك إسرائيل المنافق آخاب: حيّ هو الرّبّ إله إسرائيل الّذي وقفت أمامه. إنّه لايكون طلّ ولامطر في هذه السّنين إلاّ عند قولي» (الملوك الأوّل ١٧:١) وسيكون قحط ومجاعة، وهكذا كان، وسكن النّبيّ في البرّيّة قرب ساقية جارية لايملك ما يقتات به إلاّ ما «كانت الغربان تأتي به إليه من خبز ولحم صباحاً ومساءً وكان يشرب من النّهر» (الملوك

الطروبارية

أيها الملاك بالجسم قاعدة الأنبياء وركنهم، السابق الثاني لحضور المسيح، ايلياس الشريف الموقر، لقد أرسلت النعمة من العلى لأليشع، ليطرد الأسقام ويطهر البرص، لذا يفيض الأشفية لمكرميه دائماً.

الأوّل ١٧ :٦) وبعد مرور مدّة على القحط وانحباس المطر جفت السّاقية فجاءه كلام الرّبّ «قُم واذهب لصرفة الّتي لصيدون وأقم هناك. هوذا قد أمرت هناك أرملة أن تعولك. فقام وذهب إلى صرفة، وجاء إلى باب المدينة، وإذا بامرأة أرملة هناك... فناداها وقال: هاتي لي قليل ماء في إناء فأشرب....هاتي لي كسرة خبز في يدك. فقالت:»حيّ هو الرّبّ إلهك، إنّه ليس عندي كعكة، ولكن ملء كفّ من الدّقيق في الكوار وقليل من الزّيت في الكوز...فقال لها إيليّا: «لا تخافي ادخلي واعملي كقولك، ولكن اعملي لي منها كعكة صغيرة أوّلاً واخرجي بها إليّ... لأنّه هكذا قال الرّبّ إله إسرائيل: إنّ كوار الدّقيق لايفرغ، وكوز الزّيت لاينقص، إلى اليوم الّذي فيه يعطي الرّبّ مطراً على وجه الأرض» (ملوك الأوّل ٩ :١٧– ١٤).

أرملة صرفة مثال يحتذى ورمز من رموز الفضيلة. إنّها تعلّمنا أنّ الله يغدق من نعمه على من يطعم الجائع ويسقي العطشان ويغيث الملهوف، وأنّه يجازي الفقير الّذي يقدّم ممّا عنده. ما قدّمته أرملة صرفة للنّبيّ إيليّا يجب أن يستحثّ من تغضّ بيوتهم بالخيرات إلى جيرانهم البؤساء وإلى أطفال المحرومين، وإلى أن يشعروا بمسؤوليّتهم تجاه الغير وفقاً لتعاليم الإنجيل والكنيسة.

كان النّبيّ إيليّا قويّ الإيمان بالله، لذلك وجدناه – بعد ثلاث سنوات ونصف من القحط وانحباس المطر والمجاعة – يقف في وجه الملك آخاب ويؤنّبه ويرشده محاولاً ردّه عن عبادة البعل طالباً منه أن يجمع إليه كلّ إسرائيل وأنبياء البعل على جبل الكرمل حيث يتقدّم إليهم قائلاً: «حتّى متى تعرجون بين الفرقتين؟ إن كان الرّبّ هو الله فاتبعوه، ولإن كان البعل فاتبعوه.» (الملوك الأوّل ١٨ : ٢١) ثمّ أردف قائلاً: «أنا الآن وحدي بقيت نبيّاً للرّبّ فَلْيُؤْتَ لنا بثورين، يذبحونه ويقطعونه ويجعلونه على الحطب ولاأشعل ناراً. وتدعون آلهتكم وأنا أدعو إلهي والّذي يستجيب ويرسل ناراً للمحرقة يكون الإله الحقيقيّ.» وقَبِل الجميع بذلك وكان كهنة البعل يصرخون ويتضرّعون ويقولون: أيّها البعل استجب لنا. ولم يكن من مجيب. ولـمّا جاء دور إيليّا بالصّلاة، قال: أيّها الرّبّ استجب لي وليعلمِ الشّعب أنّك أنت رددت قلوبهم إلى الوراء، فهبَطَتْ نار الرّبّ وأكلت المحرقة والتّراب. لـمّا رأى الشّعب ذلك سجدوا وقالوا «حقّاً الرّبّ هو الإله وعاد الشّعب إلى عبادة الرّبّ وبقي الملك آخاب حائراً مذهولاً. ثمّ صعد إيليّا إلى جبل الكرمل وصلّى وجاء مطر عظيم وهطلت السّماء مدراراً وأخرجت الأرض الثّمار.

إنّ عبادة الله الحقيقيّ هي طريق الهداية تزداد بها النّعم والبركات وتدفع عن المصلّي الكثير من الويلات والتّجارب وتكسبه السّعادة والفرح والغبطة. والرّبّ قريب من محبّيه يجيب الدّعوات، وإنّ الّذي يدعوه بإيمان ويقين وعقيدة ثابتة لايُحرم من الإجابة. كيف لا؟ وهو القائل: «اطلبوا تجدوا، اقرعوا يفتح لكم.»

إنّ عبادة الإله الحقيقيّ الّذي كان يدافع عنه النّبيّ إيليّا الغيّور كلّها سعادة وازدهار.لقد صنع النّبيّ إيليّا العجائب والمعجزات لأنّه رفض السّجود والعبادة إلاّ لله الواحد الأحد، وكان دائماً يحذّر وينذر المشركين به والسّاجدين للبعل من معاول الشّرّ والهدم والدّمار الّتي هي عاقبة المشركين والكافرين. وقد استجاب الرّبّ لصلواته واستطاع أن يدفع كيد الكافرين والحاقدين.

إنّ غيرة النّبيّ إيليّا مَثَلٌ يُحتذى به في أيّامنا هذه، إذ يسعى الكثيرون لتمزيق عرى المؤمنين، وبثّ روح الشّرّ، والعمل على إبعاد المؤمنين عن دينهم وعن تعاليم السّماء. ولكنِ الطّوبى والغبطة للمؤمنين الّذين يجابهون تعاليم الشّرّ بالإيمان الثّابت وبالصّلاة وطلب العون الإلهيّ ونعم مواهب الرّوح القدس بقلوب مملوءة رجاء ويقيناً بأنّ الله هو الملك السّماويّ القدّوس والمعزّي

يقبل صلاةَ ودعاءَ المؤمنين ويحميهم من كلّ مكروه و تفريق وضلال.

لم تترك عناية الرّبّ إيليّا النّبيّ أبداً عندما ترك بلاد السّامرة وسافر يريد جبل سيناء: فكان ملاك الرّبّ يحميه ويأتيه بما يأكل، حتّى أنّه سار بقوّة هذه الأكلة أربعين يوماً وأربعين ليلة إلى أن وصل إلى جبل حوريب.

لم يرَ إيليّا النّبيّ كيف تحقّقت نبوءته في موت إيزابيل، زوجة الملك آخاب إذ قال: «في حقل يزراعيل تأكل الكلاب لحم إيزابيل.»

رفعه الله في مركبة ناريّة حيّاً إلى السّماء، و أيقونة النّبيّ إيليّا تعبير لهذا المشهد، إذ صعد بالمركبة وترك رداءه إلى النّبيّ أليشع الّذي كان يرافقه والّذي أصبح خلفاً له بعد أن أرسل له النّعمة بواسطة ردائه الّذي تركه له. ويقول عنه الذّهبيّ الفم: «وقد كان مسيطراً على لجج المياه، وبكلمة لسانه كان يرسل المطر بغزارة وكأنّه يحمل مفاتيح السّموات. لقد كان في آن واحد فقيراً ولكنّه يُغني الكثيرين، وكان غنيّاً لأنّ لسانه كان يوزّع سحاب المطر.

إنّ إيليّا النّبيّ مَثَلٌ حيّ للّذينَ يتركون الله ويعبدون بعل الشّهوات، لأنّ مخافة الله واتّباعَ وصاياه وتعاليمه هي كنز ثمين للإنسان ومصباح هداية وسراج منير. عبادة الله والسّير في طريق الإيمان القويم هدى وسراط مستقيم، ويقول سليمان الحكيم: «رأس الحكمة مخافة الله». على هذا التّعليم، عاش إيليّا النّبيّ وتغنّى بتعاليم السّماء. إنّ مخافة الله هي عنوان السّعادة وطريق النّجاة، والمؤمن الحقيقيّ هو الّذي يعبد الله عبادة حقيقيّة ويقرن القول بالفعل والإيمان بالعمل والصّدق والإخلاص إذ يكون قلبه دائماً مستيقظاً.

مخافة الله ومحاسبة النّفس هي أساس الإيمان، أمّا الكفر والجهل والغوص في بحر الظّلمات والارتماء في أحضان الشّرير وإله البعل فهي أمور تؤدّي إلى الهلاك، وليس من نصير. مثل هذا الإنسان مثل كهنة البعل الّذين استنجدوا بمعبودهم بهتافات عالية و ليس من مجير!

إنّنا نقول في عيد مار إلياس: «أنت هو ربّنا وليس إله سواك. اقبل توبتنا يا ربّ وأرسل من السّماء ناراً تحرق من قلوبنا كلّ ميل إلى آخر سواك، وأشعل في قلوبنا شعلة محبّتك.»

إنّ الّذين يقتربون من الله تُنار وجوههم وينعكس النّور الإلهيّ عنها كالضّوء في المرآة. هذا هو ماحدث عندما ظهر إيليّا وموسى مع يسوع في يوم التّجلّي الإلهيّ، إذ كان كلاهما نيّر الوجه والثّياب، وإنّ كلّ الّذين يقتربون من الله تلمع سماؤهم.

تقرظ الكنيسة المقدّسة إيليّا النّبيّ وتدعوه ملاكاً بالجسم و قاعدة الأنبياء وركنَهم.

ليتَنا نتعلّم منه الغيرة والإيمان ومحبّة الله الّذي بدونه لانستطيع شيئاً. إيليّا النّبيّ ينبوع فيّاضٌ لاينضب، ولاينقطع شيءٌ عنده في سبيل الخير العامّ وتمجيد الله.

العين الحاسدة - العين الشّريرة

الأرشمندريت أفرام الطعمي

يصير في كثير من المجالس واللّقاءات المسيحيّة المسيحيّة، أو المسيحيّة غير المسيحيّة، الحديث عن العين الحاسدة أو «صيبة العين»، وهل من «صيبة للعين» أو حسد يُصاب به الإنسان بسببٍ من إنسان آخر. أم هذه الأمور ما هي إلاّ خرافات، وسذاجات شعبيّة، يتناقلها النّاس بين بعضهم البعض عبر العصور لتبرير حوادث تصيبنا في حضرة ووجود أناسٍ آخرين. وهل المسيحيّة تقبل هذه الأمور أو هل هي موجودة في إيماننا المسيحيّ أم أنّنا نقبل بها لأنّ النّاس تنادوا لوجودها ويريدون حلاً دينيّاً لها، فتعاملت الكنيسة معها وبرّرتها وتصلّي للحماية والوقاية منها ودَرْئها عنّا.

يعود تاريخ حضور العين الحاسدة في فكر وحضارات الشّعوب لآلاف سنين خلت، فالمصريّون عرفوها وتدبّروا أساليب للوقاية منها. وكذلك أيضاً اليونانيّون وثقافات الإغريق عرفتها ورتّبت صلوات وذبائح للآلهة لتقيَها خطرَها. أيضا الحضارة السّوريّة القديمة: الكلدانيّة، والآشوريّة، والآراميّة، والفينيقيّة عرفتها واستخدمت العين الزّرقاء والصّلواتِ والذّبائحَ لآلهتها للوقاية منها.

العين الحاسدة بحسب التّقليد الشّعبيّ المعاصر، وبحسب العديد من التّفاسير والتّعاليل العلميّة، هي عبارة عن قوى وإشعاعات تنطلق من عين إنسان باتجاه إنسان آخر، فتصيبه بمَضار شخصيّة هو نفسُه، أو أشياء ماديّة من حوله نتيجة جمالٍ أو نجاحٍ أو غنى يتمتّع بهم. فتتمُّ معالجتها شعبيّاً بخرزة زرقاء أو عين زرقاء أو حدوة حصان أو أشياء أخرى شعبيّة متداولة بين النّاس.

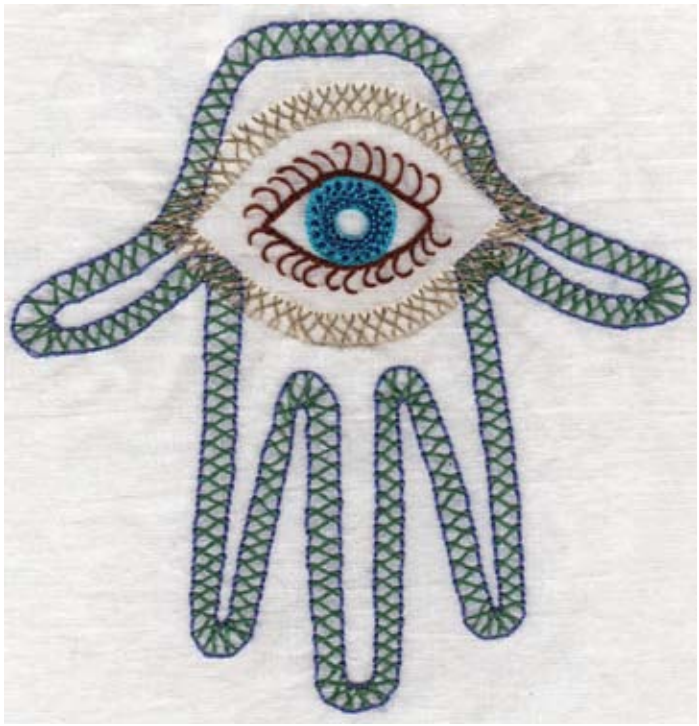

إحدى الوسائل الشعبية لدرء العين الحاسدة

ما سنجيب عنه من خلال هذه الأسطر موقف الكتاب المقدّس من فكرة العين الحاسدة وتعليم الكنيسة المستمدّ من الكتاب المقدّس.

لم يتعاملِ الكتاب المقدّس صراحة أو بشكل مباشر مع مقولة العين الحاسدة (بالفهم الحاليّ لها)، وإنّما تَعامل مع فكرة العين كما هي هي واختلاف المعاني الكتابيّة الواردة فيها. ففي (تثنية ١٥: ٩) نقرأ «فتسوء عينك إلى أخيك الفقير ولا تعطيه شيئاً، فيصرخُ إلى الرّبّ عليك وتكون عليك خطيئة» وأيضاً في أماكن أخرى من العهد القديم تحمل المعنى نفسه والّذي نفهمه كنسيّاً بأنّه الخلوّ من المحبّة أو الحسد الّذي ينطلق به الإنسان نتيجة خللٍ في رؤيته ومحبّته لأخيه الإنسان. وفي العهد الجديد نقرأ عند متّى (٢٠: ١٥) «أليس لي أن أفعل بمالي ما أريد، أم عينك شريرة لأنّي أنا صالح؟» بمعنى الحسد السّاكن في قلب

الإنسان وليس العين الحاسدة. وفي (متّى ٦: ٢٢- ٢٣) وغيرها نقرأ فكرة العين كنظرة غير سليمة، ورؤية شرّيرة ناجمة عن قلبٍ مريض بالشّهوات راغب في مضرّة أخيه الإنسان وليس كما يعتقد النّاس أنّ العين هي الّتي تسبّب الحسد أو الضّرر.

وغالبيّة، إن لم نقل جميع، الآباء القدّيسين وعلى رأسهم الذّهبيّ الفم، في شرحهم لمقاطع الكتاب المقدّس الّتي تحوي تعابير تخصّ العين والحسد، يشرحون الأمر بخلاف المعتقد الشّعبيّ إذ يقولون بانّ العين ما هي إلاّ تلك الأداة الحسّيّة الّتي تساعد الإنسان في رؤية الأمور والأشياء وتمييزها، وما من قوّة فائقة لها تسبّب ضرراً للآخرين لكنّ المعاينة والنّظرة الشّريرة إنّما تكون ناتجة عن ذهنٍ فاسدٍ وقلب مليءٍ بالشّهوات، والحسد لا يؤذي المحسود المحمي بنعمة المعموديّة وبالصّليب، وإنّما يؤذي صاحبه.

لكن يقول قائل لماذا رتّبت الكنيسة صلاةً لدرء العين الحاسدة وهذا نصّها للرّاغب في أن يصلّيها أو يطلب من الكاهن أن يصلّيها له: « أيّها الرّبّ إلهنا ملك الدّهور الضّابط الكلّ والقادر على كلّ شيء. يا من بمشيئتك فقط تصنع وتحوّل كلّ شيء. يا من حوّل لهيب الأتون المضطرم سبعة أضعاف في بابل إلى ندى وحفظت قدّيسيك الفتية الثّلاثة سالمين. يا طبيب نفوسنا وشافيها وأَمَن الواثقين به. إيّاك نسأل واليك نطلب أن تبعد وتهزم وتطرد عن عبدك... كلّ فعل احتياليّ وكلّ تهجّم شيطانيّ وكلّ مؤامرة رديئة ومحاولة خبيثة مع كلّ ضرر وأذيّة من حسد عيون النّاس الأشرار المضرّين. وان كان قد حدث له أمر كهذا إمّا عن جمال أو عن شجاعة أو عن سعادة أو عن غيرة وحسد أو من إصابة عين مؤذية، فأنت أيّها السّيّد المحبّ البشر أُمدد يدَك العزيزة وساعِدَك القويّ الرّفيع واطّلع على جبلتك هذا، وأرسل له ملاكاً سلاميّاً عزيزاً يحفظ نفسه وجسده، وينتهر ويطرد عنه كلّ رأي خبيث وسمّ مؤذٍ وكلّ إصابة من عيون النّاس المفسدين الحاسدين. حتّى إذا كان عبدك هذا محروساً منك يرتّل لك بشكر قائلاً: الرّبّ معيني فلا أخاف. ماذا يصنع بي الإنسان؟ وأيضاً: لا أخشى الشّرّ لأنّك معي. لأنّك أنت يا اللّه عزّي حاكم قويّ رئيس السّلام أب الدّهر الآتي. نعم أيّها الرّبّ إلهنا أشفق على جبلتك وأنقذ عبدك من كلّ ضررٍ وأذيّةٍ ناتجةٍ عن العين الحاسدة واحفظه منزّهاً عن كلّ شرٍّ. بشفاعات الفائقة البركات سيّدتنا والدة الإله الدّائمة البتوليّة مريم. ورؤساء الملائكة المنيرين وجميع قدّيسيك، آمين.

مسبحة صلاة

صحيحٌ أنّ الكنيسة رتّبت هذه الصّلاة من أجل درء العين الحاسدة، ولكنّها لا تعتقد بالعين الحاسدة الاعتقاد الشّعبيّ السّائد بين النّاس، وإنّما تريد بهذه الصّلاة أن تجعل من النّاس أكثر عمقاً في إيمانهم وأكثر ثباتاً بالنّعمة الّتي يحملونها وبالصّليب الّذي يتّكلون عليه. ليس الأمر أنّ هناك عيناً حاسدة أو أصحاب العيون الزّرقاء يصيبون بالعين أكثر من غيرهم ممّا يوجب علينا أن نقيَ أنفسنا منها بِوضع خرزة زرقاء أو عين زرقاء. هكذا تصرّف ينمّ عن عدم إيمان وعدم ثقة بما نحمل من نعمة. نحن كلّنا ثقة أنّ الضّرر الّذي يأتينا من الآخرين ليس بسبب العين ولكن، بسبب الشّرّ الّذي سمحوا بأن يتملّكهم

وهذا الشّرّ هو الّذي يستخدمه الشّرير في مضرّة الآخرين. الرّبّ يسوع قيّد الشّيطان وجعله عاجزاً عن مضرّتنا، ولكنّه دائما يتربّص بنا ويريد أذيّتنا، فحين ننظر إلى الآخرين نظرة شرّيرة، حاسدين إيّاهم بسبب شهوة تملّكت قلبنا، أو غيرة غير حميدةٍ، فيستخدم الشّيطان هذا الحسد أو الغيرة بشكل دنيءٍ ليسيء إلى الآخرين جسديّاً أو ماديّاً منطلقاً من استخدام شرّنا أو حسدنا أو نظرتنا الشّريرة لهم ولحسنهم ولجمالهم ولممتلكاتهم وما إلى ذلك من أمور. فيصيرون في ضررٍ نتيجة شرور قلوبنا وليس بسبب قوى انطلقت من أعيننا تسبّبت في أذيّتهم وضررهم. ففي الإنجيل نقرأ: «سراج الجسد العين، فإن كانت عينك بسيطة فجسدك كلّه يكون نيّراً، وإن كانت عينك شرّيرة فجسدك كلّه يكون مظلماً (متّى ٦: ٢٢- ٢٣)، والّذي يريدنا الإنجيليّ متّى أن نفهمه من كلامه أنّ العين هي مدخل ومخرج قلوبنا، إنّها الرّؤية الدّاخليّة، رؤية النّفس، فنجد العالم جميلاً، وخيّراً، وصالحاً عندما تكون بصيرتنا نيّرة، وتتحول الأمور سوداويّة عندما تكون رؤيتنا الدّاخليّة مظلمة بشرورنا وبغضنا.

«الرّبّ مُعيني فلا أخاف ماذا يصنع بي الإنسان» (مزمور ١١٨: ٦). وأيضا: «لا أخشى الشّرّ لأنّك معي» (مزمور ٢٣: ٤)، هكذا المسيحيّ يفكّر وهكذا واجبٌ عليه السّلوك، لأنّنا به «نحيا ونتحرّك ونوجد» (أعمال ١٧: ٢٨). والصّليب الّذي نلبسه في أعناقنا ونبارك به بيوتنا وأعمالنا وممتلكاتنا هو حارسنا ونحن متّكلين عليه، فهو قوّة الله الّتي تحمينا وتحفظنا من كلّ شرّ وأذيّةٍ ومَضرّةٍ: «فإن كلمة الصّليب عند الهالكين جهالة وأمّا عندنا نحن المخلّصين فهي قوّة الله» (١كو ١» ١٨).

عندما يسلك المسيحيّ بتفكير ونهجٍ كتابيّين، حينئذٍ لن يخشى أيّ شرّ. الحاسد يضرّ نفسه لأنّه يخلي ذاته من محبّة القريب. وصاحب العين الشّريرة يحتاج إلى صلاتنا حتّى يرأف به الله، ويساعده لينتقل إلى المحبّة عوضاً عن الكراهيّة. المسيحيّ المؤمن والواثق بالنّعمة الّتي يحملها وبالصّليب الّذي يتّكل عليه، لن يضرّه أيّ شيء لأنّ الرّبّ منحنا قوّةً وسلطاناً لندوس الحيّات والعقارب وكلّ قوّة العدوّ ولايضرّنا شيء (لوقا ١٠: ١٩). هكذا يعتني بنا الله ويسوّرنا ويحمينا عندما نتّكل عليه ونجعله سندنا وعوننا. ولكنّ المشهد الشّاذّ الّذي كثيراً ما نشهده وينمّ عن عدم إيمان وثقة، هو عندما يضع الأهل حول عنق طفلهم صليباً ويضعون معه خرزة زرقاء أو عيناً زرقاء، أو نضع في بيوتنا صلباناً وأيقوناتٍ ونضع عند المدخل عيناُ زرقاء أو حدوة حصان، وكذا أيضاً في سيّاراتنا وأماكن عملنا. هكذا تصرّف يشبّهنا بالوثنيّين الخالين من الإيمان، وكأنّ الصّليب ليس كافياً لحمايتنا أو الرّبّ يسوع المسيح لا يكفي لحفظنا من الشّرير فتصير صلاة الـ (أبانا) الّتي نردّدها والّتي نختمها بـ (نجّنا من الشّرير) مجرّد كلامات تُتَمتمها شفاهنا دون أن يصلّيها قلبنا الواثق بعناية الله وحمايته. ويبقى خوفنا من الحسد وأن يصيبنا ضررٌ، مسيطراً على فكرنا وذهننا المتأرجح في الإيمان، فنلجأ لوثنيّات التّصرّفات من استخدامٍ لخرزة زرقاء أو عين زرقاء أو ما شابههما، ونضيّع على أنفسنا إثبات إيماننا لذواتنا بأن نجعل الصّليب عوننا وحمايتنا دون وثنيّات هذا الدّهر، والصّلاة هي سكبٌ لآهاتنا وأوجاعنا وأحزاننا لدى الأحضان الأبويّة الحاضرة دائماً لدرء كلِّ شرّ وكلِّ ضرر عنّا وعن المختصّين بنا.

نصلّي إلى الرّبّ الإله أن يحفظنا جميعاً من الشّرير ومن كلّ أذيّاته ومضارّه. آمين.

الرّسائل الجامعة

ماريّا قبارة

مقدمة في الرسائل الجامعة:

تدعى رسائل يوحنّا الرّسول مع رسالة يعقوب ورسالتي بطرس بالرّسائل الكاثوليكيّة أي الرّسائل الجامعة. وقد أطلقت هذه التّسمية على هذه الرّسائل لأنّها لم توجّه إلى جماعة مفردة من المسيحيّين، بل إلى الكنيسة المسيحيّة جمعاء. ومع أنّ رسالتي يوحنّا الثّانية والثّالثة موجّهتان إلى أفراد، فقد اعتُبرتا من الرّسائل الجامعة لارتباطها الطّبيعيّ برسالته الأولى.. والرّسائل كتبت لشخص معيّن أو لكنيسة معيّنة، كما هو الحال في رسائل بولس الرّسول، عدا رسالتَي يوحنّا الثّانية والثّالثة وذلك لصغرهما، يمكن اعتبارهما امتداداً للرّسالة الأولى، خاصّة لأنّهما يحملان الأسلوب والشّكل نفسهما. وسمّيت هذه الرّسائل مع رسالة يهوذا باسم رسائل الكاثوليكيّون منذ القرون الأولى.

يلاحظ أنّ هناك تشابهاً بين الرّسائل وعلى وجه الخصوص:

رسالة بطرس الأولى ورسالة يعقوب

رسالة بطرس الثّانية ورسالة يهوذا

رسائل يوحنّا الرّسول الثّلاثة

رسالة يعقوب الرسول:

كُتبت الرّسالة قبل الاضطهاد الرّومانيّ أيّام دومتيانوس وتراجان (أع ٤: ١ + ٥: ١٧)، وبعد سقوط أورشليم وتشتّت اليهود. لذلك يرجّح البعض أنّها كتبت سنة ٦٠ أو سنة ٦١ م في الوقت الّذي انتشرت فيه الضّلالات الّتي عدّدها الرّسول في هذه الرّسالة. ووجّهت إلى الإثني عشر سبطاً الّذين في الشّتات.

غاية الرّسالة

تشجيع المسيحيّين لاحتمال الضّيق والاضطهاد الّذي كانوا يعانون منه، والثّبات في الإيمان بالرّبّ إيماناً فاعلاً. والرّدّ على الهرطقات الّتي ظهرت في ذلك الوقت.

رسائل بطرس الرسول

الرّسالة الأولى:

كتبَ الرّسالةَ القدّيسُ بطرس الرّسول أحد الإثني عشر تلاميذ

السّيّد المسيح. وتتّفق رسالته مع أسلوب عظات بطرس الواردة فى سفر الأعمال، كتبت إلى الشّتات في البنطس وغلاطية وكبادوكية وبيثينيّة، وهذه جميعها تقع في آسيا الصّغرى، لذلك تعتبر الرّسالة من الرّسائل الجامعة.

دوّنت بين سنة ٦٣ – سنة ٦٧ م، أثناء اضطهاد نيرون (٥٤–٦٨ م). كتبها من بابل (٥: ١٣). يرجّح الدّارسون أنهّا بابيلون أي مصر القديمة حيث كانت موطناً لجماعة من اليهود ومقرّاً لمعسكر رومانيّ ويقول فريق آخر أنّها كتبت من رومية.

غاية الرّسالة:

كتبها القدّيس بطرس الرّسول إلى المؤمنين المسيحيّين المتغرّبين في آسيا الصّغرى من شتات البنطس وغلاطية وكبادوكية وآسيا لتشديد إيمانهم وإيقاظ روح الرّجاء فيهم.

صفات الرّسالة:

اتّسمت بكثرة التّشابه بينها وبين ماورد في بعض رسائل القدّيس بولس الرّسول بحكم الصّداقة القويّة الّتي كانت تربط بينهما. اقتبست مفاهيم كثيرة من العهد القديم لأنّ القدّيس بطرس هو رسول الختان.

أكثَرَ الرّسول في الرّسالة بالإشارة إلى أقوال السّيّد المسيح بكونه شاهد عيان لما رأى وسمع من الرّبّ نفسه.

الرّسالة الثّانية:

كُتبت قبل استشهاده في رومية مباشرة أي سنة ٦٨م (٢بط٣:١٨)

تشكّك البعض في نسبة الرّسالة للقدّيس بطرس للأسباب الآتية:

– اختلاف هدف الرّسالتين يجعل من كلّ منهما لها أسلوبها وكلماتها.

– نصف الكلمات اليونانيّة فقط مشترك بين الرّسالتين الأولى والثّانية، ويردّ على ذلك أنّ هذه النّسبة ليست بقليلة خاصّة وأنّ الرّسول لم يكتب باليونانيّة فمترجم الأولى له أسلوب مختلف عن الآخر.

– حديثه عن رسائل بولس (٣: ١٥، ١٦) جعل البعض يظنّ أنّها كتبت بعد جمع هذه الرّسائل في وقت متأخّر. وأنّ القدّيس بطرس كان على دراية برسائل صديقه الحميم بولس الرّسول.

– إنّ الإصحاح الثّاني من الرّسالة يشبه رسالة يهوذا ويردّ على ذلك أنّ بطرس الرّسول يتنبّأ بصيغة المستقبل (٢: ١)، أمّا يهوذا الرّسول فيظهر أنّ ما تنبّأ عنه الرّسول بطرس قد تحقّق (٤، ١٢، ١٦، ١٧).

رسائل يوحنا الرسول:

إنّ اسم كاتب رسائل يوحنّا الثّلاث لم يُذكر فيها على الإطلاق، إلاّ أن الكاتب في الرّسالتين الثّانية والثّالثة يسمّي نفسه الشّيخ. وهذا ماجعل دارسو الكتاب يعتقدون أنّه يوحنّا الشّيخ الّذي عاش في أفسس في نهاية القرن الأوّل. ويوحنّا الشّيخ هو نفسه يوحنّا الرّسول. واجتمع الدّارسون أنّ أوجه الشّبه بين رسائل يوحنّا الثّلاث وإنجيل يوحنّا كثيرةٌ وقويّةٌ حتّى إنّ أكثرهم اقتنع بأنّ كاتب الإنجيل والرّسائل هو واحد.

الرّسالة الأولى

الرّسالة الأولى هي أطول الثّلاث، خالية من التّحيّة والبركة الّتي تفتتح وتختتم بها الرّسائل عادة، والتّشابه بينها وبين الإنجيل الرّابع يدعو للاعتقاد أنّ مؤلفها هو واحد. وعلى الرّغم من هذا التّشابه فهناك اختلاف أساس حتّى ليرجّح البعض أنّ كاتبها كان تلميذاً ليوحنّا الرّسول.

كُتبت بين سنة ٩٠-١٠٠م. وهي عبارة عن مقالة أو عظة أكثر منها رسالة. وكُتبت لدحض البدع، وإظهار الضّلالات في الكنيسة عامّة. وتثبيت القرّاء في الإيمان الصّحيح ودحض الآراء الخاطئة الملتوية ومنهم الغنوسيّين الّذين أنكروا ناسوت المسيح وموته الفعليّ.

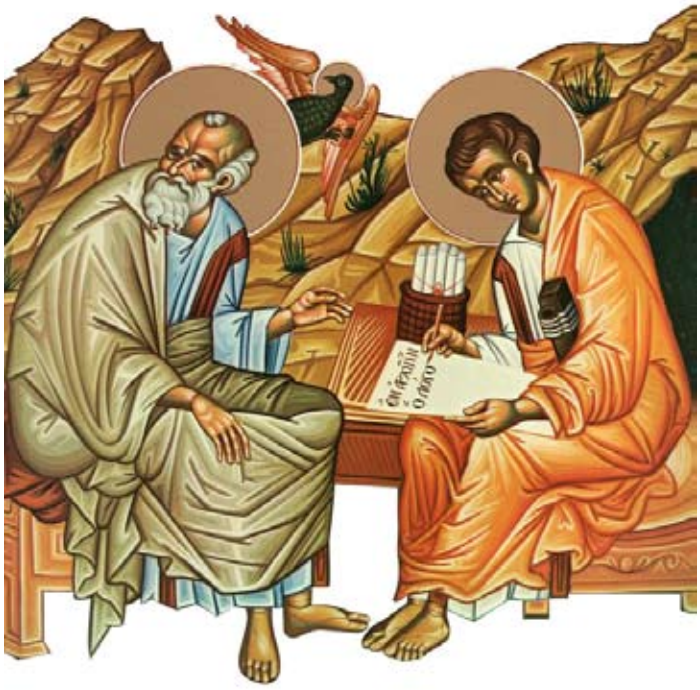

القدّيس يوحنّا الرّسول وتلميذه القدّيس بروخوروس

يمكن تقسيم الرّسالة إلى:

- العنوان: ١: ١-٤ (٢)
- ماهيّة المسيحيّة ١: ٥-٢: ٢٨. (٣)
- الحياة مع اللّه ٢: ٢٩-٤: ١٢
- الإيمان الثّابت ٤: ١٣-٥: ١٣
- الخاتمة ٥: ١٤-٢١

الرّسالة الثّانية:

وهي كالرّسالة الثّالثة تحتوي على أقلّ من ثلاثمائة كلمة باللّغة الأصليّة اليونانيّة وقد أرسلهما يوحنّا الشّيخ، (يو ١ و ٣ يو ١)، كُتبتا في ولاية آسيا بين سنة ٩٦-١١٠م. والمعتقد أنّ كاتبها هو يوحنّا الشّيخ ومن المرجّح أنّه الرّسول. أمّا الرّسالة الثّانية فهي موجّهة إلى السّيّدة المختارة وأولادها، ويعتقد البعض أنّ كاتبها يقصد بها كنيسة من الكنائس، ويعتقد البعض الآخر أنّه كتبها إلى سيّدة عائلة فاضلة وتدعى «كيريّا» وتعني باليونانيّة «سيّدة». ويمكن تقسيم الرّسالة إلى:

- تحيّات رسوليّة إلى هذه السّيّدة وأبنائها ومدح محبّتهم الصّادقة وإيمانهم القويم (ع ١-٦).
- التّمسّك بتعليم المسيح والحذر من الضّلالة والمضلّين (ع ٧-١١).
- الخاتمة (ع ١٢-١٣).

الرّسالة الثّالثة:

هناك اعتقاد أنّ هذه الرّسالة كُتبت إلى غايُس الكورنتيّ المذكور في رسالة رومية (١٦: ٢٣)، وفي الرّسالة الأولى إلى أهل كورنثوس (١: ١٤). وكان غايُس رجلاً غنيّاً من كنيسة كورنثوس وأنفق من ماله لنشر البشارة (انظر ٦-). ويحتمل أنّ المراد شخص آخر بهذا الاسم الّذي كان شائعاً يومئذ. وكاتب الرّسالة يمدح غايس على فضيلة التّقوى لديه والمعروفة حتّى عند الغرباء، ويحثّه للثّبات في الإيمان والمواظبة على عمل الخير للجميع لاسيّما للأخوة الغريبيّين الّذين يجولون مبشّرين بالإنجيل.

آب... بين التّجلّي والرّقاد

فؤاد الصايغ

ثابــور من نـــور الإلـه تمجّـــدا
جبـــلاً تبـــارك اسمه وترابـــه
ربُّ السّمـــاء إلى المخلّص مُوحيـاً
يعقوب. يوحنّـا. وبطـرس معهمــا
كـان الحديثُ مع المعلّم شيّقــاً
وجـهُ المسيح كضــوء شمسٍ مـاثلٌ
إيليّـا يظـهر فجــأة بجـــواره
ليســـوعَ بطرسُ قـائلاً متمنيّـاً
لكـم المظــلاّت الثّـلاث نقيمـــها
في الحـال ظلّلت الجميـع سحابة
بالصّـوت نـاجى ابنهُ وحبيبــهُ
حملَ الرّســالةَ فاسمعــوه وآمنوا
من بعد أن أنهــى الإلـــهُ كلامــهُ
بنزولهم قــال المسيـــحُ منبّـــهاً
إذ إنّ ذلك في الكتـــاب موضّـــحٌ
يا من يســـوع تبعتَه مع دينـــه
بحيـاتنا رسـمُ الصّليب حمايـــةٌ
آبـاً وابنـاً روحَ قـدسٍ مثلّثـــاً
بعد التّجـلّي بضـع أيّـــامٍ مضت
رحلت وجنّــات الخلــود مكانــها
أمُّ الحيـــاة حياتنـــا ابتدأت بهـا
دومـاً نعظّــمُ للبتــولة قدْرَهـــا
هي مريـــمُ العـــذراء نعمَ شفيعــةٍ
طــوبى لهـا مع كلّ بــارٍّ صالــحٍ

وكذا من الصّوت المقدّس والصّـدى
يــوم التّجلّي والقداسـة والهــدى
كيما يُيمّمِ للمكـان ويصعــــدا
قد رافقـوا عند الصّعود السّـيّدا
عن كلّ ما في الدّيـن قـال وأوردا
وثيـابه البيضـاء كالنّـور ارتـــدى
موسى كليـــم اللّه بينهما بـــدا
أمر البقـاء هنـا بحــقٍّ جيّـــدا
لنصــومَ فيهـا للإلـه ونسـجدا
من نورها شخص الإلــه تجسّـدا
أنت الّذي سـرّ الفـؤادَ وأسعــدا
حيث الخلاصُ لمؤمنٍ فيه اقتـدى
ما بـانَ للجمـع الكريـم تبـدّدا
لا تخبـروا أحـداً بما لكمُ بـــدا
فابن الإلــه ببعثهِ قهـرَ الـــرّدى
الرّبّ بـارك في خطـاك وسـدّدا
من أيّ شيطــان بســوءٍ هــدّدا
إنّا نعظّمهـم إلهـــاً أوحـــدا
شـاء الإلـه لأمّـه أن ترقــدا
مَنْ مثلها طـيّ السّـماء تخلّـدا
كلٌّ بإيمـان الجوانـح عيّــدا
مترنّمـــاً مدَحَ الفـــؤادُ وردّدا
نصـرَ الإلـهُ المستعينَ وأيّـدا
مع كلّ قدّيسٍ قضى واستشـهدا

سرّ الميرون المقدّس

نشرة أبرشيّة بيروت العدد ٢٠٠٦/٣٨

الميرون المقدّس

بعد تغطيس الطّفل ثلاثاً في ماء المعموديّة وإلباسه الحلّة البيضاء، يمسح الكاهن الطّفل المعمّد بالميرون المقدس في عدة أماكن من جسده، ويقول في كل مرة: «ختم موهبة الروح القدس» . قبل المسح بالميرون يتلو الكاهن هذه الصّلاة: «مبارك أنت أيّها الرّبّ الإله...(يا مَن) وهب لنا نحن غير المستحقّين التّنقية المغبوطة بالماء المقدّس والتّقديس الإلهيّ بالمسحة المحيية. يا مَن سررت الآن أيضاً أن تجدّد ميلاد عبدك المستنير جديداً بالماء والرّوح.... أنت أيّها السّيّد ملك الكلّ المتحنّن امنحه أيضاً ختم موهبة روحك القدّوس القادر على كلّ شيء والمسجود له وتناول جسد مسيحك المقدّس ودمه الكريم. واحفظه في قداستك، وثبّته في الإيمان المستقيم الرّأي، ونَجّه من الشّرير ومن جميع صنائعه، واحرس نفسه بخوفك الخلاصيّ في البرّ والطّهارة، حتّى إذا أرضاك في كلّ عمل و قول صار ابناً وَوارثاً لملكوتك السّماويّ».

هذا الطّقس يسمّى «سرّ الميرون المقدّس»، وهو سرٌّ مستقلٌّ عن المعموديّة، ولكن غير منفصل عنها، كما أنّ العنصرة هي حدث مستقلّ عن القيامة، ولكن غير منفصلة عنها إذ هي تحقيق لما تمّ في القيامة. فإذا كانت المعموديّة هي موتنا وقيامتنا مع المسيح، فإنّ مسحة الميرون هي العنصرة الشّخصيّة لكلّ واحد منّا. قَبِل الصّلب وفي اجتماعه الأخير مع تلاميذه في عِليّة جبل الزّيتون قال الرّبّ لتلاميذه: «إنّه خير لكم أن أنطلق. لأنّه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزّي. ولكن إن ذهبت أرسله إليكم ... وأمّا متى جاء ذاك روح الحقّ، فهو يرشدكم إلى جميع الحقّ لأنّه لا يتكلّم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلّم به ويخبركم بأمور آتية. ذاك يمجّدني لأنّه يأخذ ممّا لي ويخبركم» (يو١٦: ١٣،٧-١٤). هذا الوعد تحقّق في العنصرة وحلّ الرّوح القدس على التّلاميذ القدّيسين وتأسّست الكنيسة. هنا أيضاً في المعموديّة بعدما ولدنا من جديد في الملكوت ولبسنا المسيح، ننال ختم موهبة الرّوح القدس لنثبتَ أبناءً للملكوت، أبناءً لكنيسة المسيح المجيدة، ونصبح من رعيّة المسيح أو قطيعه. إنّه الرّوح القدس الّذي يثبّتنا في إيماننا ويقودنا في مسيرتنا نحو الملكوت. القدّيس أمبروسيوس يوضع ما يحصل في الميرون أثناء تفسيره لأشعياء ١١: ١-٣ فيقول: «إنّ الختم الرّوحيّ أي الميرون، يلي المعموديّة لأنّه بعد الولادة يجب أن يحصل الكمال. وهذا يتمّ عندما، باستدعاء الكاهن، ينحدر على المعتمد الرّوح القدس، روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوّة، روح المعرفة والتّقوى،

روح مخافة الله». هذا يتّفق مع قول القدّيس ديونيسيوس الأريوباغي: «إنّ مسحة التّكميل بالميرون المقدّس لمن استحقّ الولادة الثّانية الكليّ قدسه يمنحها حلول الرّوح القدس ذي العزّة الإلهيّة». سرّ الميرون يقود القوى الرّوحيّة المولودة داخل النّفس بالمعموديّة إلى الكمال بفعل الرّوح القدس. هذا تماماً كما أنّ الرّوح القدس يوم العنصرة جعل نتائج حدث الصّلب والقيامة تتحقّق في الكنيسة وفي التّلاميذ وفي المؤمنين بابن الله.

الميرون هو ختم الرّوح القدس كما يقول الرّسول بولس: «إذا آمنتم ختمتم بروح الموعد القدّوس» (أف ١: ١٣).

هذا الختم بحسب القدّيس ثيودورس المبسوستي «هو علامة بأنّك أصبحت الآن نعجة في قطيع المسيح. كما أنّ النّعجة إذا ما بيعت تعطى علامة قطيع صاحبها، هكذا أنت أيضاً منحت ختم سيّدك»، ختم يسوع المسيح. إنّك الآن عضو من قطيعه والميرون يطبعنا بطابع من يمتلكنا أي يسوع.

كاهن يقوم بدهن فتاة بالميرون المقدّس

القدّيس غريغوريوس النّيصصي يتحدّث عن الختم أنّه «ضمانة حفظنا وعلامة ملكيّتنا». يحافظ على محتوانا الثّمين ويدافع

عنه وبه نكون خاصّة الآب ونتّخذ أبناءً له. به نصبح هياكل للرّوح القدس. هذا الختم هو علامة انضمامنا إلى معسكر يسوع المسيح، وإنّنا صرنا جنوداً له وإنّ معركتنا الأبديّة هي مع الشّرير وهو حافظنا في هذه المعركة.

بكلام بسيط، سرّ الميرون هو سرّ الحياة بما أنّ الرّوح القدس هو معطي الحياة، وهو امتداد العنصرة في الزّمن والكنيسة، لأنّ الرّوح نفسَه الّذي نزل بهيئة ألسنة ناريّة على التّلاميذ ينزل عبر مسحة زيت الميرون المقدّس على المعمّد. عبره نأخذ بالموهبة ما أخذه المسيح وحده بالطّبيعة أي الرّوح القدس الّذي منحه الآب للابن منذ الأزل وحلّ عليه في الأردنّ. عبره نصبح شركاء المسيح في مسحته.

المعموديّة تفتح لنا أبواب الملكوت و تدخلنا إليه، والميرون يثبّتنا ويختمنا على أنّنا أعضاءٌ في هذا الملكوت وأبناءٌ لله بوضع علامة المسيح علينا وختمه.

كيف نوفّق بين الطّاعة في الكنيسة وبين التّغيير ؟

د. كوستي بندلي

قبل الإجابة لابدّ من توضيح معنى الكلمات، إذ كثيراً مايحصل تشويش بسبب غموض يحيط بما يُقصَد بها.

التباس في مفهوم الطّاعة

ما مفهوم الطّاعة مسيحيّاً؟ الطّاعة مكتنفة بالالتباس، ويمكن أن تفهَم بمعنى أبعد ما يكون عن الإنجيل. فبقدر ما يجرِّب الإنسان بأن يخالف من أجل المخالفة، أي لأجل أن يُعرف عِبْرَ المخالفة، فإنّه مجرّب بالقدر عينِه بأن ينصاع للقويّ لمجرّد كونه قويّاً، وبأن ينقاد إلى رأي الجماعة لمجرّد كونه ينتمي إليها، سواءً كان هذا القويّ على حقّ أم لا، سواء كانت هذه الجماعة على صواب أم لا. في هاتين الحالتين يطيع المرء لأنّه يهاب المواجهة، لأنّه يخشى التّفرّد، ولو كان تفرّداً في الحقّ. يخشى أن يسبح عكس التّيّار لأنّها سباحة شاقّة. يرهب الوحدة، فيفضّل الخطأ مع الجماعة على أن يبقى وحيداً في الحقّ.

ليستِ الطّاعة إذاً هذا الأمر البديهيّ، المفروغ منه. فالكلمة تتطلّب نقداً لها، يبيّن ما هو موطن الأصالة فيها وموطن الزّيف. ليست كلّ طاعة، طاعةً إنجيليّة. إنّما الطّاعةُ الّتي أسلفنا ذكرها هي على نقيض الإنجيل. لأنّ الإنجيل كلّه مواجهةٌ وكلّه سباحةٌ ضدّ التّيّار. هناك نوع من التّمرّد الإنجيليّ. ليس هو تمرّد من أجل لذّة التّمرّد لأنّ هذا انحرافٌ إلى الفردانيّة)والفرد لا يصبح شخصاً إلاّ إذا تخطّى ذاته بالمشاركة(، ولكنّه تمرّدٌ من أجل الحقّ مع تحمّل ما يحمله هذا التّمرّد لصاحبه من شعور مضنٍ بالعزلة أحياناً. أمّا الطّاعة فكثيراً ما تؤدي إلى سلوك أبعد ما يكون عن الحقّ.

هناك طاعة على نقيض الإنجيل

لدينا نماذج مرعبة عن مساوئ الطّاعة في عالمنا الحديث. ففي العهد النّازيّ وفي العهد السّتالينيّ، قُتل ملايين من النّاس في معسكرات الاعتقال، والّذين نفّذوا الأوامر بقتلهم كانوا أناساً لا يمكن نعتهم بالوحوش كما قد نتصوّر، كانوا أناساً عاديّين لا يختلفون عنّا. ولكن هؤلاء، لمّا حُوكموا على ما ارتكبوه، قالوا، للدّفاع عن أنفسهم، إنّهم نفّذوا الأوامر الّتي أُصدرت إليهم، وإنّه كان عليهم أن يطيعوا. لقد قرأتُ بهذا الصّدد مذكّراتِ قائدٍ معتَقَل أوشفيتز، ذلك المعتقل الرّهيب الّذي أقامه النّازيّون في بولونيا أثناء الحرب العالميّة الثّانية والّذي صُفّي فيه ملايين البشر. كان قائد المعتقل يُدعى رودولف هسّ. بعد هزيمة النّازيّين، حوكم هذا القائد وحُكم عليه بالإعدام.أثناء محاكمته كتب مذكّراته الّتي صدرت بعنوان «قائد أوشفيتز يتكلّم» . لدى مطالعتي الكتاب، بدا لي أنّ ذلك الرّجل لم يكن يتّسم بالوحشيّة، ولكنّه تربّى على إطاعة السّلطات بدون مناقشة. هكذا نشأ، وبالفعل تقيّد، عندما وصل إلى مركزه الخطير، بالنّهج الّذي اعتاد عليه، فنفّذ بشكل أعمى، كمواطن صالح برأيه، الأوامرَ اللاّإنسانيّة الّتي كانت تأتيه من الإدارة النّازيّة. ما أرعبني بشكل أخصّ، قوله إنّه تربّى تربية مسيحيّة أنشأته على الطّاعة. راعني أن أرى بأمّ العين أنّ الإنجيل نفسَه يمكن إذاً استعماله لمقاومة الإنجيل، وأنّ من الممكن تزويره لِينقلبَ على حقيقة الإنجيل.

إيجابية التمرّد

هناك دراسات في علم النّفس الاجتماعيّ تبيّن كم النّزعة إلى الانصياع إلى الأوامر منتشرة ومتأصّلة عند النّاس. وبأيّة سهولة تدفعهم إلى تعدّي المحرّمات والقبول بالإقدام على

أعمال تمجّها الإنسانيّة، إن كانت هذه الأوامر صادرة عن أناس يتمتّعون، في أعينهم، بسلطان. (راجع الاختبارات المذهلة الّتي قادها Stanley Milgram في جامعة Yale في الولايات المتّحدة بين ١٩٦٠ و١٩٦٣).

بالمقابل، فإنّ كلّ الّذين دفعوا بالبشريّة إلى الأمام في كلّ الميادين، هؤلاء اضطرّوا للتّمرّد، للخروج عن الطّاعة. لو أطاعوا لكانوا رضخوا لمقاييس المجتمع الّذي كانوا فيه ولَبَقي هذا المجتمع على عتاقته ولم يتغيّر. هؤلاء تجرّأوا على السّباحة بعكس التّيّار ودفعوا ثمن ذلك غالياً وغالياً جدّاً.

أذكر هنا قصّة لم يعلّمونا إيّاها في المدارس، وما سوف أذكره ينطبق على المبتكرين في حقل العلم بوجه عامّ. فكلّ هؤلاء حوربوا، ليس من الجهّال فحسب، بل من أصحاب العلم في زمانهم، الّذين لم يكن بوسعهم أن يقبلوا مَن كان يخالف ماعتادوا عليه من المسلّمات وبنوا عليه سلوكهم العلميّ كلّه. كان يصعب عليهم أن يعترفوا بأنّ ماعتقدوه حقّاً راسخاً إنّما تشوبُه حدود وثغرات.

نضال (سمّلوايس) ومعاناته المريرة:

واحد من أشهر هؤلاء المتمرّدين كان Ignace Semmelweiss وهو طبيب مَجَريٌّ. عاش أيّام كانت المَجَر جزءاً من دولة كانت تسمّى بالإمبراطوريّة النّمسويّة – المجريّة. تخرّج في الطّبّ عام١٨٤٤ ولم تكن الجراثيم قد اكتُشِفت آنذاك. لذا كان التّلوّث يأخذ مجراه دون منازع فَيُميتُ كثيرين من النّاس إثر العمليّات الجراحيّة الّتي تُجرى لهم أو بعد التّوليد، فقد كان التّوليد في ذلك الحين مجازفة حقيقيّة تتعرّض خلالها الأمّهات لخطرٍ مُميت، إذ كانت نسبة ٢٥٪ من النّساء اللّواتي يَلِدْنَ يتوفّينَ بعد الولادة من جرّاء إصابتهنّ بحمّى تُدعى حمّى الولاّدات. في هذه الأجواء عُيّن الطّبيب الشّابّ في دارٍ للتّوليد في فيينا تابعة للدّولة. كان في ذلك المستشفى جناحان. لاحظ سمّلوايس أنّ نسبة الوفيّات بين ولادات أحد الجناحين ترتفع إلى ٨٦٪ في حين أنّ النّسبة كانت أقلّ بكثير في الجناح الآخر. تساءَل ما السّبب. فَقارن بين الأساليب المتّبعة في التّوليد في كلّ من الجناحين. اكتشف عند ذاك أنّ الفارقَ الوحيدَ الملفتَ للنّظر هو أنّه، في الجناح الّذي تميّز بنسبة وفيّات منخفضة كانت قابلات نظيفات يَقُمْنَ بالتّوليد. في حين أنّ في الجناح الآخر كان المولّدون طلاّبَ طبٍّ مستهترين يقومون بالتّوليد بعد إجرائهم عمليّات تشريح ودون اكتراث بالنّظافة.

أدرك الطّبيب الشّابّ بحدسه الارتباطَ بين درجة النّظافة ونسبة الوفيّات. فصار يطلب من المولِّدين أن يغسلوا أيديهم بسائل مطهّر بسيط هو chlorure de chaux وبالفعل خفّت كثيراً، بفعل ذلك التّدبير، نسبةُ الوفيّات. ولكنّ ذلك أثار حفيظة رئيس دار التّوليد لأنّ ما طلبه (سمّلوايس) خرج عن كلّ المفاهيم المعروفة آنذاك، وكأنّه، بإقدامه على إدخال هذا التّجديد، كان يتحدّى سلطة رئيسه بتحدّيه كلّ المفاهيم الّتي كان يمارس الرّئيس بموجبِها سلطتَهُ الطّبّيّةَ. وهو ما أدّى إلى طرده (سمّلوايس) من الدّار دون إقامة أيّ وزن لإنجازاته. بعد ذلك حاول (سمّلوايس) أن يذيع اكتشافه في الأوساط الطّبّيّة، ولكنّه لقِيَ منها اضطهاداً مركّزاً حكم عليه بعزلة تامّة آلت به إلى الجنون. وقد مات مجنوناً ولم يتعدّ ٤٧سنة من العمر.

بعد فترة وجيزة أتى باستور Pasteur، فاكتشف الجراثيم وبرهن علميّاً عن وجودها باختبارات شهيرة، مؤيّداً بذلك حدْسَ سابقه (سمّلوايس)، ورغم المقاومة الضّارية الّتي واجهته كان لديه الطّاقة الكافية لمقاومة خصومه ونشر اكتشافه، فأثبت، بصورة غير مباشرة، ما كان (سمّلوايس)، السّابق لزمنه، قد قاله ودفع غالياً ثمن المجاهرة به في وجه أطبّاء عصره.

تدقيق في نحوى الطّاعة

هذا التّضارب بين طاعة مدمّرةٍ وتمرّدٍ مُحيٍ من شأنه أن يدفعَنا إلى كثير من الدّقّة في حديثنا عن الطّاعة.

في آخر المطاف الطّاعة هي للّه وحده. عندما نطيع في الكنيسة، فنحن لا نطيع إلاّ اللّه ولا نطيع إنساناً ما، إلاّ على قدر طاعته هو للّه. ماعدا ذلك تصفعنا كلمة الرّسل: «أفضل أن يطاع اللّه من أن يطاع النّاس» (أعمال الرّسل ٥: ٢٩)، الّتي واجهوا بها الكهنة وغيرهم من القادة، الّذين ادّعوا تمثيل اللّه وكانوا في الظّاهر على حقّ لأنّهم كانوا يشكّلون السّلطة الدّينيّة الرّسميّة لشعب اللّه في ذلك الحين.

بالطّبع يوجد في الكنيسة أناس يمارسون القيادة كما في كلّ مؤسّسة إنسانيّة. لهؤلاء تتوجّب الطّاعة الّتي تقتضيها المسؤوليّة الموكّلة إليهم: «أطيعوا رؤساءكم واخضعوا لهم، لأنّهم يسهرون على نفوسكم سهر من يُحاسَب عليها...» (عبرانيّين ١٣: ١٧)، ولكن ليس لهم الطّاعة المطلَقة. اعتياديّاً نطيعهم. ولكن إذا تعلّق الأمر بإرادة اللّه، ورأيناهم في هذا الظّرف حادوا عن تمثيل إرادة اللّه، توجّب علينا أن لا نطيعهم. هذا ينطبق على سلوكنا حيال المسؤولين في الكنيسة أو في أيّة جماعة بشريّة. تذكرون المسيحَ الطّفلَ كيف خالَف والديه وتركهما وبقي في أورشليم، وكيف أنّه، لما أنّبته مريم على تصرّفه هذا، أفهمها أنّ الطّاعة الأولى إنّما هي للّه. ومع ذلك فقد عاد مع أبويه إلى المسكن العائليّ في النّاصرة «وكان طائعاً لهما» كما يروي الإنجيليّ لوقا (لوقا ٢: ٥١). هكذا نراه، بعد أن خالفهما من أجل تتميم مشيئة أبيه السّماويّ، يقدّم لهما من جديد الطّاعة الّتي تقتضيها، في عاديّات الأمور، وظيفتهما الوالديّة.

ليس هناك إذًا من إنسان، مهما سما، تنبغي له الطّاعة المطلقة، بل هناك أناس تتوجّب لهم عادة الطّاعة الّتي يقتضيها حسن ممارسة مسؤوليّتهم. الطّاعة، في الكنيسة، ليست مرتهنة بوظيفة أو مقام أو عُمر معيّن. ليس من الضّروريّ فيها أن يطيع الصّغير الكبير وذلك لمجرّد كونه الأصغر سنّاً. صحيح أنّ الصّغير يطيع عادة الكبير لكونه مسؤولاً عن رعايته، ولكنّ هذه القاعدة المألوفة ليست بحال من الأحوال مبدأً مطلقاً. لاالوظيفة ولاالسّنّ يشكّلان في الكنيسة مقياساً مطلقاً للطّاعة. فالآباء الشّيوخ كانوا يُستشارون من قِبَل المطارنة والبطاركة مع أنّهم لم يكونوا أصلاً سوى رهبان أي علمانيّين لم يتلقّوا سيامة كهنوتيّة. هذا من حيث الوظيفةُ والمقامُ. أمّا من حيث السّنّ، فيُحكى أنّ الأب موسى، من كبار الآباء الشّيوخ، توجّه ذات يوم إلى الأخ زكريّا، وكان راهباً صغير العمرِ لايزال يتدرّج في النّسك، قائلاً له: قُل لي ماينبغي أن أفعلَ. فصُدِم زكريّا وأجاب: ماذا تطلب يا أبتِ! أجابه الأب موسى: رأيت الرّوح القدس يحلّ عليك، ولذلك، من الآن فصاعداً، سوف أطلب منك ماسمعتني أطلبه. بعبارة أخرى فإنّ الشّيخ المتقدّم في الأيّام والخبرة الرّوحيّة، رأى اللّهَ يشعّ في هذا الشّابّ المتدرّج، رأى فيه نورَ اللّه فأراد أن يسترشدَه ولو أنّه كان يخرج بذلك عن القاعدة المألوفة. هذا هو موقف الكنيسة الأرثوذكسيّة في أصالته.

الطّاعة الحقيقيّة خلاّقة

لنعد الآن إلى سؤالنا. إذا كنّا فعلاً نطيع الله، إذا كانت طاعتنا تتّجه فعلاً إليه وليس إلى بديلٍ له ألبسناه زوراً اسمَه، فيجب أن نعي أن الله لايحتويه أيّ إنسان أيّاً كان، مهما بلغ عمرُه وامتدّت خبرتُه وعلا شأنُه لا بَل ومهما سَمَت قداستُه. الله لا يُحتَوى. الله يبقى أوسع وأرحب من كلّ إنسان ومن كلّ جماعة إنسانيّة، حتّى تلك الّتي تتسمّى باسمه. وإلاّ لما كان هو الله. إنّه النّبع والمصدر ونحن نتلقّى منه على قدر طاقتنا واستعدادنا، وهذان ناقصان دائماً في كلّ فرد وجماعة. «الله أعظم من قلوبنا» (١ يوحنّا ٣ : ٢٠). فإذا كان الله لا يُحدّ ولا يُحصر، إذاً ليس ما نعرفه عنه في حقبة ما من الدّهر الحاضر، سوى جزءٍ من الحقيقة. كما يقول الرّسول: «فنحن اليوم نرى في مرآة (وكانت المرآة في تلك الأيّام مصنوعةً من المعدن المصقول: ك. ب.) رؤيا ملتبسة (...) اليوم أعرف معرفة ناقصة...» (١ كورنثوس ١٣: ١٢). علينا بالتّالي أن نتعلّم دوماً من الله. ولكن كيف يعلّمنا الله؟

من الوسائل الّتي يُعلّمنا بها، هناك كلّ ما نصادفه في حياتنا وتاريخنا من أوضاع ومعطيات جديدة لم تكن تعرفها العصور الّتي سبقتنا. هذه العناصر الجديدة تنبّهنا إلى نواحٍ من الله لم تنتبه لها الأجيال السّابقة، فتتكشّف لنا بإلهام الرّوح القدس الّذي وعدنا المسيح أنّه «يرشدنا إلى الحقّ كلّه» (يوحنا ١٦: ١٣). الله يخاطبنا مثلاً من خلال المكاسب والاكتشافات الّتي يحقّقها الفكر البشريّ فيُظهر لنا أشياءً لم يعرفْها سابقونا. ليس لأنّنا أعظم منهم، ولكن كما قال (كلود برنار): «قدامى العلماء جبابرة ونحن لا نبلغ قامتهم ولكنّنا نستطيع أن نرى أبعد ممّا رأوا لأنّنا واقفون على أكتافهم». هذا الكلام هو بِآنٍ قِمّة في التّواضع وقِمّة في الطّموح.

الله يكشف لنا، من خلال تقدّم الفكر البشريّ الّذي هو في الأساس هبة منه، ما لم يفطن إليه أسلافنا، ليس عن الكون والإنسان وحسب، بل، وعبر ذلك، عن حقيقته نفسِها وعن حقيقة علاقتنا به. في علم النّفس وعلم الاجتماع مثلاً، نعرف ما يفوق بكثير ما كان يعرفه كبار العلماء السّابقين، وذلك من أجل السّبب الّذي ذكره (كلود برنار) وأسلفناه. ومن خلال تقدّمنا هذا في معرفة ذلك الواقع النّفسيّ والاجتماعيّ الّذي نحياه، لابدّ أن تتكشّفَ لنا أيضاً نواحٍ جديدةٌ في علاقتنا بالله ينبغي أن نلتقطَها بحرص ونستنير بها. ولنأخذ، على سبيل المثال، ما حكيناه عن الأضواء الّتي يلقيها التّحليل النّفسيّ على الصّوم وأبعادِ عيشه. إنّها أضواء لا يسعنا إلاّ أن نجدّد بها رؤيتَنا للصّوم ولطريقة التّعامل معه. وإلاّ نكون في الظّاهر مطيعين للتّقليد الكنسيّ ولكنّنا بالفعل مهملون لما يسمح بإخصاب هذا التّقليد وتجديد حيويّته وترسيخ أصالة عيشه.

وإذا كانت طاعتنا للآباء تقتصر على مجرّد اجترار أقوالهم، نكون، بالفعل، خائنين لفكرهم ومسعاهم، لأنّهم هم لم يتورّعوا من الدّخول في حوار جريء مع فكر عصرهم وثقافته. فكانوا يلتقطون الحقيقة من جهتين، من الإعلان الإلهيّ ومن أفضل ما أنتجه الفكر البشريّ في حضارتهم، ويُحْيون بصدق وعمق توتراً خلاّقاً بين هذين الولاءَيْن يَثرون به الإيمان ويعمّدون الفكر، مسترشدين في خوضهم هذه المغامرة، لمجد الله وحياة الإنسان، ذلك الحسّ الإلهيّ الّذي ألقاه الرّوح في قلوبهم. فإذا شئنا أن نكون طائعين لهم، بالفعل لا بالشّكل، فلنكن مثلهم أناسَ حوارٍ، ولنتعلّم منهم أن نجمع بين الرّسوخ في الإيمان من جهة والإخلاص لكلّ ما هو خيّر ونيّر في عصرنا، ولو اختلط بكثير من الزّؤان. وإلاّ كنّا خائنين لهم ولما كانوا عليه ولو جاهرنا بالتّعصّب لما أورثونا إيّاه. الاجترار خيانة. وحدها الأمانة الخلاّقة للتّراث، طاعة حقيقيّة.

أيقونة التّجلّي

الأرشمندريت أفرام الطعمي

صعد يسوع إلى جبل عالٍ (في التّقليد هو جبل ثابور) آخذاً معه بطرس ويعقوب ويوحنّا أخاه، ابني زبدا. هناك وعلى هذا الجبل انفرد يسوع عنهم متجلّياً بهيئةٍ ما سبق لإنسان أن رأى فيها جسداً يصير على هذه الصّورة. إنّه الرّبّ الإله المتجسّد في قمّة مجده في ألوهيّته وأيضاً في قمّة تواضعه عبد يهوه المتألّم الباذل نفسه من أجل أحبّائه. يُسمّى هذا العيد – شعبيّاً – بعيد الرّبّ؛ كون الرّبّ ظهر في جوهره بالأساس، فالمسيح على الجبل ظهر لنا كإله، والطّاقة (القوى) الإلهيّة تنساب أبداً من الجوهر الواحد للثّالوث كفيض إلهيّ، والتّمايز بين الطّاقة (القوى) والجوهر لا يمسّ أبداً وحدة الله وبساطته. هذا هو ضياء الطّبيعة الإلهيّة وهذا بالضّبط ما تحاول الأيقونة تجسيده. هذا هو النّور غير المخلوق الّذي كان كامناً في السّيّد وأخفاه في ناسوته عند التّجسّد لمّا اتّخذ صورة عبد. إذ لمّا أراد الابن أن يعايش البشر كان لابدّ له أن يظهر مثلهم إنساناً متواضعاً لا مجد فيه. ولكنّ التّجسّد ما ألغى المجد الكامن في يسوع. كشفه لحظات كما كان فيه. لم يصطنع السّيّد نوراً جديداً. لم يتحوّل غير أنه مكّن التّلاميذ والنّبيّينَ أنْ يبصروا. كان هذا تجلّياً بالنّسبة إليهم. في الآلام انكشفت قوّة مجده وهو يقيم في المجد السّاطع من بعد القيامة وإن أخفاه أيضاً بعد القيامة ليتمكّن من الحديث إلى التّلاميذ. يجيب الذّهبيّ الفم عن معنى عبارة

«تجلّى»؟ قائلاً: «إنّ الرّبّ كشف السّتر عن أُلوهيّته، قليلاً، حسبما شاء، وأظهر لمسارّيه الإله السّاكن فيه.»

طروباريّة التّجلّي تقول: «لمّا تجلّيت أيّها المسيحُ الإله على الجبل، أظهرت مجدك للتّلاميذ حسبما استطاعوا. فأشرق لنا نحن الخطأة نورك الأزليّ. بشفاعات والدة الإله، يا مانح النّور المجد لك». فمجد الرّبّ ظهر لنا بشخص التّلاميذ وبحسب إمكانيّتهم وإمكانيّة الطّبيعة البشريّة وما سمح الله به لهم ولنا، ففهموا ما دار حولهم وذلك رغبة من الرّبّ يسوع في أن يكشف عن حقيقته للتّلاميذ ولكن أيضاً بمقدار ما يستطيعوا أن يتحمّلوه بعين الجسد لأنّ من يرى الرّبّ موتاً يموت. وليُكمل الرّبّ نعمته على تلاميذه غطّت المكان غمامةٌ والآب من وسطها يُعلن أنّ التّجلّي على الجبل هو ابني الحبيب فله اسمعوا لأنّ كامل الحقّ هو منه. هكذا ظهر الرّبّ في مجده، ولكنّه وفي هذا المجد قَبِلَ أن يتخلّى عنه ليتّخذ صورة عبدٍ. لهذا فكلّ من يحمل اسم عبد الله، عبدو، وما يشابههما يعيّد بهذا العيد بالإضافة للّذين يتَسَمّون بأسماء مثل عيسى.

بهذه الهيئة وعلى هذا الجبل حضر في تجلّي ربّنا يسوع، موسى وإيليّا، واحدٌ عن يمينه، وآخرُ عن يساره دالّين على النّاموس الّذي بموسى مُنح للبشر وعلى النّبوءة الّتي بإيليّا كانت المثال الّذي لا غبار عليه. هناك وفي هذه الغمرة وبهذا المجد الّذي ما تحمّله لا بطرس ولا يعقوب ولا يوحنّا، فانكفؤوا ساترين

وجوههم مغلقين أعينهم لعدم استطاعتهم معاينة هذا المجد الإلهيّ، يستجمع بطرس قواه معايناً موسى وإيليّا مع الرّبّ يسوع فيعلم بعظمة الحدث ونقاوة وطهارة المكان. إذ فيه يحلّ الرّبّ الإله فالواجب تكريم الحدث وتبجيل المكان من خلال إقامة ثلاث مظال (مقامات) واحدة للمسيح وأخرى لموسى وثالثة لإيليّا فالمكان مقدّس، والرّبّ فيه، والمقترب إليه يخلع نعليه لأنّ الرّبّ حاضرٌ ومجدَ الرّبّ مالئٌ المكان.

تاريخيّاً يعود التّعييد لتجلّي ربّنا يسوع المسيح إلى القرن الرّابع؛ إذ ابتدئ التّعييد فيه في الأوساط الأرمنيّة وانتقل خلال أعوام قليلة إلى منطقة الشّرق وخاصّة أنطاكية الّتي عيّدت له خلال القرن نفسِه وصارت تتهيّأ له بصوم يدوم ستّة أيّام. أمّا في الغرب فلم يُبتدَأ التّعييد له إلاّ في أواسط القرن الخامس عشر. ارتبط التّعييد للتّجلّي بالرّزنامة الزّراعيّة إذ يترافق ومواسم حصاد ثمار الصّيف كالعنب والتّين والمشمش وغيرها من ثمار الصّيف، لهذا يجري في الكنيسة تبريك العنب في آخر قدّاس عيد التّجلّي لتتباركَ فيه ثمار الأرض الّتي تبدأ بالنّضوج فيتبارك كلّ من يأكلها.

موضوع التّجلّي يعتبر من أهمّ المواضيع في الرّوحانيّة الأرثوذكسيّة. لذلك كان يفترض على كلّ رسّام أن يبتدئ نشاطه التّصوريّ والرّسميّ بأيقونة التّجلّي كي يختبرَ النّور الإلهيّ. وفي العديد من مناطق التّكريس والرّهبنة الأرثوذكسيّة نجد مخطوطات توصي الرّاهب الّذي اتّخذ الفنّ الإلهيّ نبراسَه، أن يباشر عمله بخوف الله، فيقصد كاهناً يتلو عليه صلاةً ابتهاليّةً للرّوح القدس ليلفّه بالعين النّورانيّة فيعاين ما لا يمكن معاينته بنعمة الرّوح القدس، ويرتّلوا سويّة ترتيلة عيد التّجلّي، فالمصوّر الحقيقيّ لا يكتفي بالنّقل والتّصوير عن الآخرين بل يضع ريشته وفنّه تحت إشراف الرّوح القدس، ترافقه الصّلاة في كلّ ضربة ريشة، والتّمخّض الدّاخليّ موجود حتّى ولادة الأيقونة.

وصف الأيقونة:

الطّبيعة: الحدث يجري في الخارج وكما أشرنا في شرحنا لأيقونات سابقة فالجبل والبرّيّة والأشجار تشير جميعها إلى حدثٍ لا يتمّ ضمن قاعاتٍ أو هيكل بل يجري على جبل عالٍ. بالتّحديد نجد المسيح يتجلّى على قمّةٍ، وموسى وإيليّا يحضُران في تجلّيه كلّ واحد على قمّةٍ عن يمينه وعن يساره، نجد القليل من الشّجيرات والتّلاميذ على سفح الجبل مرتمين.

المسيح: الشّخصيّة المحوريّة والمركزيّة في الأيقونة هو المسيح، على قمّة الجبل يتجلّى فتتحوّل ثيابه إلى اللّون الأبيض إنّه النّقاء بأبهى صوره إنّه الصّفاء إنّه السّلام الّذي حلّ على الأرض بين النّاس، فكان المسرّة. المسيح يلتحف النّور كالثّوب، وتصير هيئته نورانيّة محاطة بهالة المجد فالمسيح يعتلن لتلاميذه إلهاً وبهذا المجد سيكون مجيئه الثّاني ليدين العالم الّذي براه، تحيطه هالة من النّور تأخذ عدّة أشكال، ولكنّها بالغالب بيضويّة الشّكل وكأنّه بالمسيح يختطف السّماء وهو على الأرض ليصير الكلّ في الكلّ بشخص الإله المتجسّد. يظهر المسيح حاملاً بيده اليسرى ملفّاً أو إنجيلاً فهو المبشّر بالخلاص، وبيده اليمنى يبارك الكون كونه الخالق والحافظ. يخرج من الهالة أشعّة منيرة الجميع، لكنّ التّلاميذَ الثّلاثة ليسوا بقادرين على تحمّلها.

النّبيّين: عن يمين المسيح وعن يساره يظهر كلّ من موسى وإيليّا، الأوّل يرمز للقانون والشّريعة، والثّاني للنّبوءة، ظهورهما ليس مصادفةً، فعند عودتنا للعهد القديم نجد أنّ كلّ واحد منهما عايَنَ مجد الله، فموسى بالغمام على جبل سيناء عبَرَ أمامه الرّبُّ فما رأى وجهه لكن خلفه، وحادثه وسلّمه الوصايا منحوتة على حجر، وإيليّا الّذي بسبّب اضطهاد الملكة إليزابت له وتعهّدها بقتله من بعْد مواجهته لكهنة البعل وكشفه كذبهم وخداعهم، غادر هارباً طالباً وجه الله وصاعداً على جبلا سيناء، هناك عايَنَ الرّبّ بهبيب نسيم خفيف. كلاهما عايَنا مجد الرّبّ قديماً، فأهّلهما الرّبّ لمعاينة مجده متجسّداً ومتجلّياً على جبل ثابور. لوقا يضيف إلى هذا الحدث حواراً دار بين المسيح والنّبيّين حول خروجه من أورُشليم للدّلالة على آلامه وموته وقيامته الّتي فيها سيتمّ اعتلان المجد بأبهى جلال.

التّلاميذ الثّلاثة: المسيح يختار بطرس ويعقوب ويوحنّا أخاه ليرافقوه إلى هذا الحدث، ينتظروه أسفل فيما هو على القمّة يصلّي، ينظروه وينتظروه، وهم في هذه الغمرة يُظهر المسيحُ مجدَه لهم، لكنّهم لم يستطيعوا النّظر إليه بسبب البهاء الّذي هو فيه. الأيقونة ترسمهم على شاكلة الواقعين السّاترين عيونَهم. وحده بطرس ينظر إلى المتجلّي ومن ظهر معه فيسألهم أن يقيم مزارات ثلاثة لهم؛ لينحفظ هذا الحدث أبداً، ولتكون المظال شاهدة على حضور الرّبّ. ثياب التّلاميذ تظهر بشكل غير مرتّب للدّلالة على هول الحدث الّذي أربكهم.

حدثيّ الصّعود والنّزول: يُضاف في كثير من أيقونات التّجلّي حدثان يأخذان حيّزين صغيرين من الأيقونة عن اليمين وعن اليسار، يُظهران المسيح صاعداً من جهة ونازلاً من جهة أخرى عن الجبل. يحضرهم خلال الصّعود وينبّههم خلال النّزول أن لا يخبروا أحداً حتّى يتمجّد بالقيامة، عندها يكون الوقت مناسباً لإعلان هذا الحدث.

هذا هو التّجلّي كما تخبرنا عنه الأيقونة والإنجيل وأيضاً كما نحتفل به مرتّلين :«أيّها الكلمةُ النّور الّذي لايستحيل، نور الآب غير المولود، إنّنا بِنورِك الّذي ظهر اليوم على ثابور، قد رأينا الآبَ النّور والرّوحَ النّور المنيرَ الخليقةَ بأسرها».

الرموز في الأيقونات

الأرشمندريت بندلايمون فرح

في الأيقونة الأرثوذكسيّة رموز متعدّدة. سنحاول التّوصل إلى فهم أهمّ رموز الأيقونات الموجودة في كنيستنا، ولا سيّما الأكثر استخداماً في اللّيتورجيا. وجدير بالانتباه أنّ الرّموز تطال الألوان وهندسة خطوط الأيقونة وتوزيع المشاهد وكذلك وضعيّة الجسد. فالأيقونة تنطلق من واقع الحدث في التّاريخ والمكان، لتنقلنا إلى واقع متألّه متجلٍّ.

الألوان:

أحمر قاتم: يرمز إلى الإنسانيّة المتألّهة، وإلى محبّة المسيح وإلى الألوهة.

الأزرق: رمز المعرفة الّتي لا تدرَك بالعقل ولكن بالقلب. ويرمز إلى المجد الإلهي.

الأخضر: يرمز إلى التّجديد وإلى الطّبيعة البشريّة.

الذّهبيّ: يرمز إلى الأبديّة، الملك الأبديّ الّذي لايفنى (كلّ الأيقونات تؤسّس على اللّون الذّهبيّ).

الأصفر: يرمز إلى النّور الإلهيّ.

الأبيض: يرمز إلى الطّهارة، والى توهّج النّور الإلهيّ.

الأسود: يرمز إلى الضّياع والمجهول وإلى ظلمة الخطيئة والموت.

البنّيّ: يرمز إلى الأرض، فآدم الأوّل من تراب.

البنفسجي: يرمز إلى الاتّحاد بالله (وهو مزيج من الأزرق، طبيعة البشر، والأحمر، رمز الطّبيعة الإلهيّة).

أيقونة ضيافة إبراهيم

- الملاك الممثّل للآب يشير إلى الكأس في الوسط، الّذي يحتوي على الحمل الفصحيّ. ويتطلّع الآب إلى الابن.
- الملاك الّذي على يسار الابن يمثّل الرّوح القدس. أزرق أغمق من الابن لأنّه يرسل معرفة الثّالوث في الأرض.
- نظرة الآب للابن: المحبّة الإلهيّة، والانسكاب الأبديّ.
- الصولجان أو العصا رمز الرّعاية والتّعليم.
- تركيز الأيقونة على الكأس الّذي في الوسط: الحمل الفصحيّ.
- الجبل يمثّل الكون بأسره.
- البناية ترمز إلى الكنيسة أي العالم الجديد في المسيح يسوع.
- وضعيّة انحناء جسمَيّ الملاكين تؤلّف هيئة كأس.
- انحناء وجه الملاك الوسطيّ هو نفس انحناء رأس المسيح على الصّليب، الّذي يرمز إليه بالشّجرة (شجرة الحياة) الّتي وراء الملاك.

أيقونة الشّعانين

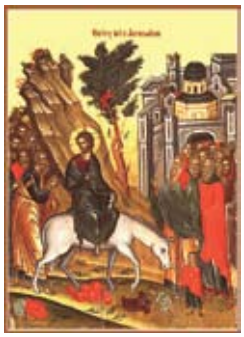

- الشّجرة: ترمز إلى شجرة الحياة في الفردوس وإلى الصّليب، كما في أيقونة ضيافة إبراهيم.
- جلوس السّيّد على الجحش، يوضّح تواضع الرّبّ، وأيضاً يرمز الحيوان إلى بهيميّة الأمم الّتي رفعها السّيّد وجعلها تسمو.

- ثمّة تضاد بين الأطفال الفرحين في شجرة الحياة، وبين النّاس المرنّمين «أوصنا» وكذلك واضح تذمّر اليهود عند أبواب المدينة.

- عيون الأطفال المتجاوبين مع حضور الرّبّ، تدعو للتّمثّل بطهرهم البريء.

أيقونة دخول السّيّد إلى الهيكل

- الأحمر القاتم: الإنسانيّة المتألّمة.

- السّتارة الحمراء: ربطت المعرفة الإلهيّة الهيكلين بواسطة السّتارة الحمراء (رمز للفداء).

- محبّة الله ربطت الهيكل النّاموسيّ وحوّلته إلى هيكل جديد هو الكنيسة.

وهذه المحبّة هي المعرفة الإلهيّة، والسّتارة هي فعل الفداء.

- دخول السّيّدة إلى الهيكل لم يذكَر في الإنجيل إنّما في التّقليد واللّيتورجيا.

- تركيز على زخريا: انتظار النّاموس لهذا الحدث.

- يواكيم وحنّة: رمز الانتظار وتحقيق نبؤات العهد القديم.

أيقونة الظّهور الإلهي

- يوحنّا يلمس هامة السّيّد برِعدة.

- الابن عارٍ (حياة الفردوس)، يشير بيده إلى المياه ليقدّسها، ومن هنا خدمة تقديس المياه وكأنّه يدعو آدم إلى الاغتسال معه والتّطهّر من الخطايا.

- تظهر المياه مثل كهف (استباق للدّفن). هذه الفكرة ستتوضّح أكثر في أيقونة النّزول إلى الجحيم.

- معدة المسيح معضلة تشير إلى الألم وارتقاب الصّليب.

- طول الأجسام يرمز للنّفس العذريّة، الإنسان في المجد.

الملائكة

- الإنسانيّة السّائرة نحو الابن. الإنسانيّة المعتّقة تمجّد الله الابن المتجسّد في خدمتها للابن. آمنت الإنسانيّة بمجيء المسيح وتستنير بنوره.

السّمكة

- تذكّر بالرّبّ يسوع المسيح ابن الله المخلّص.

الحمامة

- في تفسيرهم للمعموديّة، يعود الآباء إلى قصّة نوح والحمامة الّتي أتت بغصن زيتون، وإلى أنّ الرّوح، منذ الخلق، كان يرفّ على وجه المياه.

أيقونة التّجلّي

- في التّجلّي استعلن مجد المسيح للتّلاميذ لأوّل مرّة.

- المسيح ملتحِف بالنّور كالثّوب.

- موسى يمثّل شريعة العهد القديم، وإيليّا أنبياء العهد القديم، ويرمز إلى قيامتنا وصعودنا مع الرّبّ لأنّه صعد في المركبة النّاريّة. يتكلّمان مع يسوع ويشهدان له.

- يوحنّا: غير فاهم، مدحرج، يرتدي ثوباً أحمر رمز المحبّة.

- بطرس: يكلّم الرّبّ.

- يعقوب: يغطّي رأسه غير فاهم.

- الجبل يمثّل المسكونة بأسرها.

- التّلاميذ: الإنسانيّة الّتي قبل الصّليب والقبر والقيامة لم تكن تفهم شيئاً.

- هالة المسيح: ترمز إلى المجد الإلهيّ.

- اللّون الأزرق: غير مقترب إليه.

- الأسهم: شعاع النّور الإلهيّ.

- يوحنّا: مغمّض العينين غير فاهم ولكنّه قابل كلّ شيء.

- بطرس: ٣ خيمات (خيمة الشّهادة).
- الّذين يحملون درجاً (كتاباً) في الأيقونة هم الأنبياء أو المبشّرين.

أيقونة إحياء لعازر

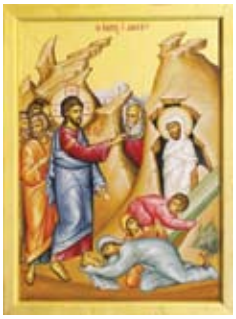

- اليهود المحيطين به: غير فاهمين.
- التّلاميذ وراء المسيح بدؤوا يفهمون الصّليب.
- لعازار في عتمة القبر وإلى جانبه مريم ومرتا.
- القبر له نفس شكل أيقونة الظّهور.
- الأزرق القاتم: رمز للسّرّ الّذي لايدنى منه ولايعرف بالعقل.
- الصّخور والجبال رمز الكون.

أيقونة العشاء السّرّي

- شكل مستدير للطّاولة: وحدة العمل الفدائيّ، وفعل الفداء والتّجسّد.
- التّضاد بين يوحنّا المتّكئ على صدر المسيح ويهوذا. فالقلب عند الآباء مصدر المعرفة. يتّكئ على صدره لأنّه فهم ماذا يجري، بينما يهوذا لم يفهم، حسب النّصوص اللّيتورجيّة، بل كان همّه أن يأخذ.

أيقونة الصّليب

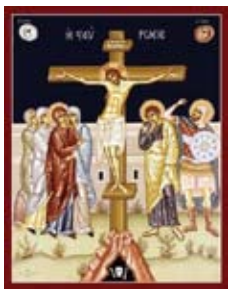

- السّلّم الإلهيّة الّتي بها نرتقي إلى السّماء، جذوره في قعر الجحيم ويوصل إلى السّماء.
- العذراء: تلبس أحمر قاتم، نفس لون أيقونة الميلاد، ملتحفة بالإنسانيّة المعتوقة بمحبّة الرّبّ.
- يوحنّا الحبيب: يلبس أحمر إشارة لمحبّته للمسيح.
- الطّول: رمز للنّفس العذريّة، لأنّه إنسان في المجد وليس طبيعيّاً.
- الجحيم: يمثّل بالجمجمة.

أيقونة القيامة

- يجب أن لايرسم لابساً ثياباً بيضاء كما في التّجلّي، بل يجب أن يُرسم لابساً ثياباً باللّون البنّيّ لأنّها تدلّ على أنّ المسيح يسوع هو الّذي مات على الصّليب.
- المسيح ملتحف بالنّور (التّجلّي)، يُمسك آدم (أو التّرابيّ) وينتشله من الجحيم. تظهر مفاتيح وأقفال الجحيم المفكّكة وكذلك الأبواب.
- حوّاء: الإنسانيّة المتبتّلة لربّها.
- الشّيطان: كائن داكن اللّون مكبّل بالسّلاسل ومهزوم.

أيقونة الصّعود

- حسب التّقليد، العذراء موجودة تمثّل الإنسانيّة المصلّية.
- الملائكة يتكلّمون مع التّلاميذ.
- مجد المسيح في الغمام حيث الحضور الإلهيّ.

أيقونة العنصرة

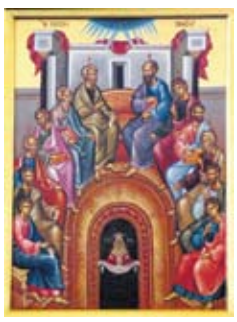

- التّلاميذ نصف دائرة (عمل الفداء مستمرّ فيهم: يمثّلون العالم).
- الرّوح بشكل ألسنة النّار (تطهّر).

- الشّيخ في المغارة إشارة إلى الكون، والكهف مظلم مدعوّ لأن يتقبّل معمودية النّار.

- في المنديل بشائر الرّسل الإثني عشر (رؤ٢٠).

أيقونة البشارة

- العذراء تمثّل الكنيسة المصلّية الّتي تحبل بالكلمة المتجسّد، وتتقبّل تدبير الرّبّ ببساطة قلب.

- الملاك الخفر يتقدّم بحركة رشيقة واحترام.

أيقونة الميلاد

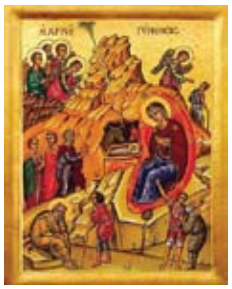

- تجلس العذراء بدون ألم أو انفعال دلالة على الولادة العجيبة، ملتحفة بالأحمر القاتم (التّبتّل).

- يوسف يبدو حائراً والشّيطان يقلقه بالأفكار.

- أقمطة المسيح كالأكفان والمغارة مثل القبر وكذلك المذود اللّحد.

- يمثل الحمار والبقرة بهيميّة الأمم الّتي جاء المسيح ليخلّصنا منها.

- الرّعاة يتعجّبون. الملائكة يسبّحون، النّجم يشير إلى موضع السّيّد.

- المجوس يمثّلون ثلاثة مراحل عمر الإنسان: الحداثة، الشّباب والشّيخوخة.

أيقونة رقاد السّيّدة

- المسيح يحمل نفس العذراء في المجد بشكل طفلة مقمّطة دلالة براءتها.

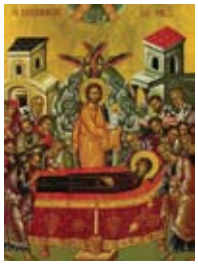

- الرّسل حول العذراء يقدّمون الإكرام اللاّئق بأمّ اللّه الّتي فاقت جميع البشر. وهي منذ اللّحظة تتمتّع في المجد الإلهيّ مع ابنها.

- بعد القرن الحادي عشر أضيف رجل يحاول أن يوقعها فقطع ملاك يده بسيف ناريّ.

+ + +

نقلاً من موقع التراث الأرثوذكسي

www.orthodoxlegacy.org

صميم الحياة
الرّجل الّذي لم يبكِ

الأديبة أسمى طوبى

وُلد في أسرة متوسّطة الحال.. طفل نحيل البنية.. واسع الجبهة. مطبّق العينين نصف إطباقةٍ حتّى لتكاد تحسبه نائماً أبداً.

وكبُر ولم يرَ أحدٌ دمعة في عينيه.. ولعلّه كان إذا ما بكى حاول أن يعتصر الدّمعة فتستعصي عليه فيصرخ كالباكي ولا بكاء هناك.

وتدرّج في طفولته لا يعرف إلاّ أن يكون منتصراً.. منتصراً على الرّفاق الصّغار وعلى الأهل الكبار.. وشبّ وليس للعاطفة سبيل إلى نفسه فكأنّه كتلة من عقل وتفكير.. ومضى يدرس ويعدّ نفسه للمستقبل الزّاهر حتّى إذا ما أنهى دراسته الأوليّة كان متفوّقاً.

وجلس يفكّر بالمهنة الّتي سيتعاطاها ولعلّه كان قد فكّر وصمّم منذ زمن.. لقد كان والده موظّفاً صغيراً أمّا هو فلن يكون إلاّ شخصيّة كبيرة.

قال للأسرةِ في أمسية ما.. سأصبح طبيباً.. ووجمت الأسرة.. إنّها خطوة كبيرة لا تستطيع أن تخطوها.. ولكنّها كانت تعلم أن لا فائدة من الجدل، فمتى قال فتاها أريدُ فقد نفّذ ما يريد..

ومضى في طريقه يعدّ المدّة للمستقبل الزّاهر.. سيصبح جرّاحاً كبيراً.. سيقف أمام الأعضاء الفاسدة فيبترُها.. وأمام الجراح الدّامية فيضمّدها.. سيقف أمام الموت وجهاً لوجه وسيرى آلام النّاس سافرة وسيداويها كثيراً ولكنّه لن يتألّم.. إنّه واثق من قلبه ومن عينيه.. ألم يطلقوا عليه منذ طفولته لقب «الطّفل الّذي لم يبكِ».

ومرّت الأعوام.. وتحقّقت آمالُه كلُّها.. أمّا كيف حقّقها فلا تَسَلْهُ.. إنّه عندئذٍ يهزّ رأسه ساخراً من خور عزيمتك ثمّ يجيبك باختصار.. وهل في الأمر أعجوبة..؟ مادام المرء يودّ أن يصل إلى هدفه فالطّرق موفورة كائناً ما يكن نوعها.

وتفوّقت الشّخصيّة الجبّارة.. وفعل الطّموح فعلَه في النّفس الجامدة فحجّرها فإذا بالطّيب تاجر.. كلّ كلمة من فمه لها ثمنها.. وكلّ مأساة مهما عظمت ومهما تفتّتت القلوب حوله لا تؤثّر في نفسه إلاّ بمقدار ما حصّله من مال.. فإذا كان المبلغ كبيراً فالمأساة بالنّسبة إليه لاشيء بل لعلّها قدرٌ موفّق.. أمّا إذا كان المبلغ صغيراً فهناك المأساة الحقّة.

وأقبلتِ الدّنيا على الرّجل فما زاده إقبالُها إلاّ اطمئناناً لها وطمعاً بعطائها.. وما زادته الأعوام إلاّ تحجّراً حتّى لقد تأتيه الأسرة المكوّنة من أب شيخٍ وأمّ نصف عمياء وأخوات صغيرات تحمل إليه معيلَها الشّابّ الّذي سقط فتهشّم متوسّلة أن يعدّ لها سريراً في مستشفاه وعناية من يده البارعة. فيأبى أن يمدّ إليه يداً قبل أن يقبض المبلغ المعيّن.. فإذا ما مضت الأسرة البائسة تجمع المبلغ من هنا وهناك ثمّ عادت به كان الوقت قد فات واستلمت جثّة وحيدها بعد ساعات وبعد أن قبض هو أجرة العمليّة الفاشلة الّتي

عملها.. فإذا ماصاحت الأمّ الثّكلى وأنهد الأب الشّيخ وناحت الأخوات مضى (الرّجل الّذي لم يبكِ) في طريقه كأنّه لا يرى ولا يسمع.

ووصل الرّجل القمّة وأصبح ثريّاً فَراح يبحث عن نصفه الآخر.. وانتقاها توافق نفسه الجافّة.. فتاة جميلة الصّورة منبسطة القامة ولكنّها كالأرض اليابسة الّتي ما بلّلها مطر الرّحمة يوماً فما رحمت أو عطفت.

وتزوّجا.. أحبّت فيه الشّهرة والثّروة وأحبّ فيها الجمال الصّلب الخالي من ميوعة الأنوثة على حدّ تعبيره.. بل لعلّه أحبّ فيها الثّراء الّذي مكّنه من اقتناء السّيّارات والخدم دون أن يصرف قرشاً من جيبه.

ومرّ عامان (والرّجل الّذي لم يبكِ) يعارض في إيجاد طفل، فالأطفال مشكلة إذ قد يمرضون فيزعجون، ولكنّ الزّوجة مهما بدت جافّة فقد كان فيها شيءٌ من الأمومة.

ووُلدت الطّفلة أخيراً بعد أن تقرّر أن تكون الأولى والأخيرة.. وُلدت وهي كتلة من عواطف وأحاسيس فإذا ما بكت بكت بكل جوارحها فَسالت دموعُها كقطرات النّدى.. وإذا ما ضحكت ضحكت بكلّ جوارحها فَرِحت ضحكاتها كتغريد عصفور في ربيع مبكّر.. وهكذا فكأنّ الطّبيعة جعلتها كما هي لتعوّض دنيا الحنان ما خسرته بسبب والديها.. أو لتنتقم من جفافهما.

وشبّت الصّغيرة كتلة من عاطفة في المنزل القاسي.. لها من والديها حنانهما على قدر ما حوت نفساهما من حنان.. ولها من قلبها ظمأه الشّديد للحبّ.

والتقت بفتى أحلامها.. وخُيّل إليها أنّ السّعادة أقبلت تغمرها.. وتمّ القران ومضى شهر العسل وما يليه قصيراً كحلم ليلة فإذا بالزّوجة الفتية تبدو ساهمة الطّرف مصفرّة.

سألتها الأمّ فصمتت وسارت في حياتها الخاصّة وقد أقفلت شفتيها فلماذا..؟ أتراها علمت أنّ القلبين اللّذين تأمل منهما الحبّ والغوث كانا بعيدين عنها ومن المُحال أن يحلاّ مشكلتها..!

ومرّ عام.. وأقبل الشّتاء يحمل من البرد والثّلوج ما لم يحمل منذ عشرين عاماً... وفي ليلة من لياليه القاتمةِ، والعاصفةُ تدوي في الخارج تكاد تقتلع النّوافذ والأشجار من أماكنها، والماء تصبّ الأمطار صبّاً.

في تلك اللّيلة والزّوجان الوحيدان – الرّجل الّذي لم يبكِ والمرأة الجافّة – يجلسان أمام الموقد الدّافئ طُرِقَ الباب طرقاً متوالياً ثمّ دخلتِ الابنة وكانت تترنّح وقد تجمّدت أطرافها وتبلّلت فالتصقت بجسمها.. وقبل أن تتلفّظ بكلمةٍ سقطت مُغمىً عليها..

وأخذتها بعد ذلك الحمّى فكانت تهذي.. إنّه منذ عام يحرمها اللّقمة.. يعذّبها لأنّه يريد أن تحضر له ثروة والديها أو نصفها على الأقلّ، وما دامت وحيدتهما فَلِمَ لا يكون الدّفع مبكّراً.. ولم تخبرّهما وكيف تأمل أن يعطياها مالاً وهما هما؟..

وتدحرجت دمعة كبيرة على خدّ (الرّجل الّذي لم يبكِ) وصاح قلبُه.. اللّهمّ إنّ القصاص كبير كبير فالرّحمة لي ولابنتي.. ولكنّ السّماء كانت مقفلة.. مقفلة كقلبه الّذي كان مقفلاً فما عرف الرّحمة.

وماتت الشّابّة فانحفت كفّاه وابيضّ صدغاه في ليلةٍ واحدة.. واستيقظ ضميره فهو لا تغمض عيناه إلاّ لتريا مرضاه وليسمعَ عويل الآباء والأمّهات.. يا للضّمير المعذّب عندما يستيقظ.

والتقيت بالرّجل في مكان بعيد ولم أكن أعلم من أمره شيئاً فإذا بي أمام مخلوق يستحقّ الاشفاق فعيناه مغرورقتان بالدّموع دائماً.. إذا جلس حدّق في الأفق البعيد وإذا مشى أطرق كأنّه يبحث عن شيء.. إذا تعثّر طفل أسرع فأنهضه وإذا مرّ بائسٌ أسرعت يده إلى جيبه.

قلت ما أرقّه من مخلوق.. لو خُيّرت لأسميته الرّجل الباكي.. فقالت صاحبتي.. بل لقد أسموه مرّة (الرّجل الّذي لم يبكِ).. ثمّ حدّثتني حديثه.

ومررت بعد ذلك به فحدّقتُ بالمُحيّا الحزين وقرأت السّطور العميقة المحفورة على جبينه كأنّها تقول:

هنا إنسان أعطته السّماء كثيراً فكفر بالنّعمة فاستردّت ما أعطت.. هزأ بآلام النّاس فأذاقته الآلام.. جهل معنى الحرمان فحرمته. لتعلّمه.. كان رجلاً متجبّراً فأدّبته ليصبح إنساناً رحيماً.

التّجلّي
تألّه الإنسان بالنّعمة

الأرشمندريت أفرام الطعمي

يقول القدّيس غريغوريوس النّيصصيّ: «لقد تجسّدَ الإلهُ لكي يتألّهَ الإنسانُ». وآباءٌ كثيرون يعيدون ويذكّرون بهدف الإنسان في هذه الحياة، وإلى ماذا عليه أن يسعى، وأين عليه أن يوجّه بوصلتَهُ، ونحو من يجب أن ترتكزَ حياتُه عليه.

التألّه (أي أنْ نصيرَ آلهةً بالنّعمة وليس بالطّبيعة. لأنّ الطّبيعةَ مختصّةٌ بالله وحده) هو الجواب الدّائم عند غالبيّة الآباء. فالإنسان الّذي هو صورة الله، والّذي – وبسبب السّقوط – تخدّشت صورته هذه وتشوّهت، يبقى الخليقةَ الّتي فاضت من المحبّة الإلهيّة. ويبقى الشّريكَ الّذي يريد اللهُ أن يكونَ له نصيباً معه. فهو حرٌّ وصاحبُ إرادةٍ، بحريّةِ اختيارِه سقط وبحريّةِ اختيارِه وجهادِه يمكن أن يعود ويحيا. عودتُه إلى الحالة الّتي أرادها الله له أوجب تدخّلاً إلهيّاً. فَوجب على الإله أن يلبسَ جسداً ويحلّ بيننا لننظرَ مجد الآب مجدَ وحيدٍ منه. فَتألّهُ الإنسان هو الهمّ الأساسيّ له، ولكن كيف يتمّ هذا وماذا يتوجّب عليه أن يصنعه حتّى يصير في هذا المجد مشاركاً خالقَهُ، وكيف فهمت الكنيسة عِبرَ آبائها تجلّي ربّنا كصورة لما يمكن للإنسان أن ينعم به.

في التّجلّي يظهر المسيح في مجده، والتّلاميذُ بحسب استطاعتهم عاينوا بأعينهم الجسدانيّة الرّبّ يسوع في الهيئة المقدّسة هيئة المجد، وعاينوا معه كلّ من موسى وإيليّا المعتبرين أعظم من كلّ الأنبياء يتحادثان مع المسيح، وفي هذه الأثناء تُظلّلُ الجميعَ سحابةُ الرّوح القدس، هي النّعمة الّتي تمكّنهم (للتّلاميذ) من إدراك ما يدور حولهم (متّى ١٧: ١– ١٣، لوقا ٩: ٢٨– ٣٦، مرقس ٩: ٢– ١٣). القدّيس بالاماس في تعليقه الأوّليّ على حادثة التّجلّي ينطلق من العدد المذكور فيَدخل إلى عُمق المكتوب ويقول: «كم شخصاً تواجد على الجبل؟ بطرس، يعقوب ويوحنّا، يسوع، إيليّا وموسى، أي ستّة أشخاص، ونضيف إليهم شخص الله الآب وشخص الرّوح القدس فنحصل على الرّقم المُقدّس ثمانية. إنّه اليوم الثّامن يوم الملكوت الّذي جدّده ربّنا يسوع المسيح، بعد قيامته. لا يصير ذكرٌ لاسم الجبل، لأنّه ما من أهمّيّة له بقدر أهمّيّة العجيبة ذاتها وأهمّيّة حدث التّجلّي الّذي صار على جبلٍ عالٍ. السّبب للصّعود إلى «جبلٍ عالٍ»، يقول القدّيس غريغوريوس أسقف تسالونيكي، كان أوّلاً لأنّ ربّنا أراد أن يرفع الإنسان السّاقط – بسبب الخطيئة – من أسفل إلى أعلى، وثانياً لكي ينحدرَ هو الإله من أعلى إلى أسفل ليُلاقي الإنسان بواسطة التّدبير الإلهيّ، وعلى قدر استيعاب الإنسان له. تجلّى ربّنا يسوع المسيح على جبل عالٍ ليلغيَ الذّبائح والصّلواتِ الوثنيّةَ الّتي كانت تُقام على قمم الجبال لآلهة غير معروفة، وليجدّد الصّلوات للإله الحقيقيّ ذي الثّلاثة الأقانيم.

القدّيس بالاماس في عظة له عن تدبير تأنّس يسوع المسيح يقول: «لو لم يصِرْ كلمةُ الله إنساناً لَما ظهر الآب الحقيقيّ وما ظهر الابنُ الحقيقيّ وما ظهر الرّوح القدس الحقيقيّ». إذاً، تأنّسُ الإبن هو الذي أظهر الآب الحقيقي والإبن الحقيقي والروح القدس الحقيقي، ولولا التأنّسُ لما ظهر جوهر الإله ولا الأقانيم، بل كان الإله بالنّسبة لنا عبارةً عن طاقة نشعر

بها قليلاً نحن المَخلوقين، ولقلنا كالفلاسفة القُدماء وبرلعام وإكيندينوس (فيلسوفين هرطوقيّين تواجه معهم القدّيس بالاماس لدى إنكارهم إمكانيّة الاتحاد بالله والتأله من خلال الجهاد الرّوحيّ)، بأنّه بالتّعليم وبالقدرة الإنسانيّة نستطيع فهم الله. فلذلك بتدبير تأنُّس يسوع المسيح، أظهر الابنُ نفسَه وأظهر الآبَ الحقيقيّ بحسب قدرتنا على الاستيعاب، ربّنا يسوع المسيح أوضَح لنا بشكل حقيقيّ الإله الحيّ، وبدونه لم نكن نعرف شيئاً واضحاً عن الله الآب. «فَبِدون انكِشاف الله في وجه يسوع المُتأنِّس لكان اللاهوتُ شيئاً تِقَنيّاً وليس كلمة الحقّ ولا شهادةً حقيقيّة عن الإله الحقيقيّ». ربّنا يسوع المسيح تجلّى أمام أعيُن تلاميذه وأبرَزَ الطّبيعة الإلهيّة، ولكن في الوقت ذاته تواجدَتِ الطّبيعة الإنسانيّة بدون انفصال عن الأولى، ما يدلّ على أنّ الجسدَ المخلوق شارك في المجد الإلهيّ قبل قيامة يسوع المسيح. إنّ مجد الطّبيعة الإلهيّة في يسوع المسيح، كقول يوحنّا الدّمشقيّ، يكون مجداً للطّبيعة الإنسانيّة في يسوع المسيح. لم ينفصل البتّة الجسد المخلوق الّذي اتّخذه يسوع المسيح عن المجد الإلهيّ، مِن لحظة التقاء الطّبيعتين في يسوع المسيح صار الجسدُ المخلوق غنيّاً بسبب ارتِباطه بالطّبيعة الإلهيّة.

جدليّة تأله الإنسان بالنّعمة شغلت الكنيسة لفترات طويلة شرقاً وغرباً بين رافضٍ لها وبين مؤيّدٍ، ولكن بالنّهاية، التّعليم الأرثوذكسيّ المستقيم الرّأي انتصر، وأكّدتِ الكنيسة أنّ الإنسان يتأله بالنّعمة عبر الصّلاة ومن خلال أسرار الكنيسة فيصير قادراً أن يعاينَ الله بالعين الرّوحيّة وليس الجسديّة. المسيح الّذي أتى والّذي سيأتي والآتي عبر الأسرار في الكنيسة. فالحياة بالمسيح عبر الأسرار ليست تجديداً «للنّشاط الخاصّ بالعقل»، لكن تحقيقاً أكثر امتلاءً لنعمة المعموديّة فينا. ليس هدف الصّلاة الدّائمة تحرير الفكر من العقالات الجسديّة، إنّها تسمح للإنسان بالوصول، ابتداء من الحياة الأرضيّة، إلى حقيقة أخرويّة (عالم ملكوت الله)، تجمع روحه وجسده في الشّركة الإلهيّة، إنّ الإنسان بكلّيته، روحاً وجسداً، خُلق على صورة الله وهو مدعوّ، بكلّيته، للمجد الإلهيّ. ينتمي المسيحيّون إلى عصر آخر، إنّهم أبناء آدم السّماويّ، ذريّة جديدة، أولادٌ للرّوح القدس، إخوة يسطعون بالمسيح مشابهون لأبيهم، آدم الرّوحيّ والمضيء. الّذين ولدهم بنفسه أيّدهم بنعمته، والّذين فيهم أخذ الرّبّ شكلاً، فهو يرفعهم في راحة خاصّةٍ، مع غذاء وطعام وشراب خاصّ، إنّه يعطيهم نفسه، لأنّهم يعيشون مع أبيهم. ألم يقل السّيّد « من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيّ وأنا فيه» (يوحنّا٦: ٥٦)، ولا يموت أبداً، هدف الحياة المسيحيّة هو إظهار خميرة النّعمة الّتي يمتلكها المسيحيّون منذ الآن في ذواتهم والّتي تهيّئ فيهم مجيء الملكوت.

القدّيسان غريغوريوس النّصيصيّ ومكسيموس المعترف، اللّذان هما من ألمع آباء الشّرق الكبادوكيّ والأنطاكيّ، نجحا في شرح المعطيات الأساسيّة للرّوحانيّة المسيحيّة، فتكلّما عن التأله وعالجا في اللاّهوت مسألة السّرّ المسيحيّ في التّجسّد والخلاص بيسوع المسيح. «لقد أعطيتهم المجد الّذي أعطيتني حتّى يكونوا واحداً كما نحن واحد. أنا فيهم وأنت فيّ ليكونوا مكمّلين إلى واحد)يوحنّا ١٧: ٢٢، ٢٣(. الاتّحاد بالله، الاتّحاد القابل وحده أن يخلّص البشريّة من الموت والخطيئة والّذي يشكّل جوهر العمل الّذي أنجزه المسيح، وهذا لا يتمُّ إلاّ من خلال الاشتراك في سرِّ الأفخارستيّا فيصير الجسد والدّم الإلهيّان مؤلّهين لنا. القدّيس سمعان اللاّهوتيّ الحديث (+ ١٠٢٢) تحدّث بفيض عن تجربته الشّخصيّة والصّحيحة في معرفة الله، فيكتب رؤياه الخاصّة قائلاً فيها: «أخيراً تنازلتَ كاشفاً لي السّرّ الرّهيب... رأيتُ، كما كان يبدو لي، أنواراً ساطعة تحيط بي... رأيت إشعاعات وجهك... فخرجتُ من نفسي واختُطفت في نشوة... ثمّ أعطي لي بأمر من رحمتك أن أتأمّل سرّاً آخراً أكثر

رهبة أيضاً. رأيتك تصعد إلى السّماوات آخذاً إيّاي معك. لكن لست أعلم أَ بِالجسد أُخذت أم بدونه – أنت وحدك الّذي يعلم، أنت وحدك الّذي خلقتني...»

القدّيس غريغوريوس بالاماس (+ ١٣٥٩) يجعل اللّه نفسه منظوراً حقيقة لأنّ الملكوت الآتي في الكنيسة استباقيّ حقيقة. تماماً كما أنّ المسيح يُظهر نفسه سلفاً لصالحي الشّريعة القديمة. إنّ القداسة المسيحيّة إذًا هي أساساً ذات طبيعة نبويّة: العربون الّذي يحصل كلّ المسيحيّين عليه خلال معموديّتهم ويُظهرون سرّ الخلاص ليس فقط بأقوالهم ولكن في حياتهم.

ميّزة رؤية القدّيسين للّه، الحقيقية، بكلّ ما للكلمة من معنى يعبّر عنها «بالاماس» بتأكيد لا ينقطع، تكون بالنّعمة غير المخلوقة كالنّور الّذي أنار التّلاميذ في جبل ثابور. فما يميّز اللّه، بحسب بالاماس وغيره من الآباء، عن الكائنات، هي وبشكل أساسيٍّ، ميّزة غير المخلوق. إنّ الوضع الخاصّ بالكائنات هو الطّبيعة المخلوقة، وعندما يعلي هؤلاء من مجالهم الخاصّ بالاشتراك في اللّه، فإنّهم يساهمون في حياة غير المخلوق. لم يلجأ اللاّهوت الشّرقيّ أبداً، في الحقيقة، إلى فكرة «شيء مخلوق يفوق الطّبيعة»: ما يبحث عنه المسيحيّ، وما يمنحه إيّاه اللّه في النّعمة الأسراريّة، هو الحياة الإلهيّة غير المخلوقة، التألّه. بالنّسبة لبالاماس، ليست معرفة اللّه إذاً معرفة تفترض بالضّرورة نوعاً من الخارجيّة فيما بين الشّخص العارف والشّيء المعروف فقط، بل هي وحدة في النّور غير المخلوق. فالإنسان لا يملك في

الحقيقة
أيّة قدرة
تخوّله أن يرى اللّه
وإذا كانت هناك من رؤيا
فذلك أنّ اللّه نفسه، في كلّ قوّته، يتّحد

بالإنسان ويجعله مشاركاً في المعرفة الّتي يمتلكها منه هو. وهذا الاتّحاد كان لنا في التّجسّد ويصير لنا باستمرار عبر الاشتراك بجسد المسيح ودمه الإلهيّين. ورغم تأكيد بالاماس على حقيقة التّألّه الكاملة فهو لا يختلف عن الفكرة الكتابيّة الّتي بموجبها

يحصل المرء في المسيح على القدرة في «أن يكون روحاً»)يوحنّا ٣: ٦(باشتراكه في اللّه نفسه، وفي نعمته غير المخلوقة يصير المرء نفسه إلهاً، كما يقول بولس الرّسول: «لا أنا أحيا أبداً لكنّ المسيح يحيا فيّ» (غلاطية ٢: ٢٠).

إنّ «رؤية اللّه وجهاً لوجه كما صار في التّجلّي على جبل ثابور» لم تكن تعني في الحقيقة لبالاماس «رؤية الجوهر الإلهيّ «لأنّ اللّه» الّذي «يفوق الجوهر» لم يكن من الممكن مماثلته، بأيّ حال من الأحوال، مع أيّ تصوّر مخلوق، وبشكل خاصّ مع التّصوّر الفلسفيّ للجوهر. بل تعني معاينة المجد الإلهيّ عبر أفعال اللّه وقواه غير المخلوقة ونوره المشرق في القلوب النّقيّة والأعين الرّوحيّة. فإله المسيحيّين، إله الكتاب المقدّس، إلهٌ حيّ، ولكنّه بشكل أساسيّ أيضاً أسمى من كلّ خليقة، كلّ كشف، كلّ مشاركة، كلّ تألّه، هو إذاً فعلٌ حرٌّ يقوم به إله حيٌّ: هو فعل إلهيّ. لكنّ اللّه نفسه لا يتماثل كليّاً مع هذا الفعل. إنّه يبقى أعلى منه في الوقت الّذي يظهر بكلّيته: في الحقيقة أنّ اللّه هو من يمتلك الخليقة ويمدّها بحياته هو والحال أنّ إدراك الجوهر الإلهيّ يعني امتلاك اللّه. وللقدّيس غريغوريوس قول مأثور عن أهمّيّة الجسد «إنّ الإنسان بفضل كرامة الجسد المخلوق على شبه اللّه هو أسمى من الملائكة». كان يقول إنّه من النّفس تتسكب في الجسد طاقة إلهيّة بصورة متواصلة وإنّ الملائكة وإنْ كانوا أدنى إلى اللّه فلا أجساد لهم تتسكب فيها الطّاقة الإلهيّة على هذا النّحو. وعنده أنّ الإنسان يصبح إلهاً متى انكبّ على التّأمّل وعايَنَ في موضع القلب نور التّجلّي المتوهّج. التّجلّي الإلهيّ على قمّة ثابور، بحسب القدّيس غريغوريوس بالاماس، هو أعظم ما أتاه الرّبّ يسوع المسيح من أعمال. التّجلّي الإلهيّ يفوق حتّى سرّ الشّكر. «إنّ نور ثابور هو ملكوت اللّه». لم يكن نوراً مفاجئاً لأنّه لا بداية له ولا نهاية، لا يحدّ في زمان ولا مكان ولا يمكن إدراكه بالحواسّ العاديّة. ومع ذلك صار معروفاً والّذين اشتركوا في طاقة اللّه عرفوه وتألّهوا به. فالتّلاميذ الّذين وقفوا فوق قمّة ثابور قد رأوا النّور وأضحوا كائناتٍ سماويّةً لأنّهم لمّا حدّقوا فيه تروحنت أجسادهم. هذا النّور المعمّي عاينه القدّيس بولس على طريق دمشق فانفتحت عيناه وصار في البصيرة مدركاً ما لم يستطع البصر إدراكه، وإيليّا النّبيّ عندما أخذته عن الأنظار عربة النّار وموسى عندما وقف بالعلّيقة المحترقة. وكيف يلتمس المرء هذا النّور؟ قبل كلّ شيء، بالتّوبة والدّعوة باسم يسوع واستدعاء رحمة الاسم القدّوس.

يذكر كلّ من متّى ومرقص لدى تخبيرهما عن حادثة التّجلّي أنّ الرّبّ فيما هو يُصلّي صارت هيئة وجهه مُتغيّرة، ولباسه مُبيضّاً لامعاً»، ووجهه أضاء كالشّمس، أي أنّ نوره سطع ولباسه صار مُبيضّاً لامعاً لأنّ لباسه كان ملتصقاً بجسده السّاطع نوره. يفسّر القدّيس بالاماس سطوع النّور الإلهيّ قائلاً: علينا أن لا نعتقد أنّه بإمكاننا معاينة النّور الإلهيّ بالعين المُجرّدة، فالّذي يعيش معتمداً على حواسّه البشريّة يرى الكلّ بشراً مخلوقاً، بينما الّذي يعيش بالرّوح القدس يُمكنه معاينة يسوع المسيح إلهاً، هنا يا إخوتي المحبوبين بالرّبّ يسوع المسيح، يقول القدّيس غريغوريوس بالاماس، ربّنا وإلهنا يُظهِر قوّة الصّلاة ونتائِج الصّلاة والعجائِب الّتي من الممكن أن يُشارِك بها المؤمِن. كما أنّ ربّنا يسوع المسيح يعلّمنا أنّ الصّلاة تؤدّي إلى مُعاينة اللّه المطلوبة، وعلينا أن نتعلّم أنّ التّقرّب إلى اللّه يحدث بممارسة الفضائل. بالتّقرّب إلى اللّه وارتباطنا بالذّهن معه

نشارك بالنّور غير المخلوق فيحدث تلألؤ بالنّور، ويظهر على وجه الإنسان. اللّه منح هذه الأمور لكلّ من اتّبع طريق الصّلاة الصّادقة والارتقاء إلى اللّه. فكلّ مَن يُصلّي بالشّكل الصّحيح، يُنقّي رؤية ذهنه، ويبدأ باستيعاب أمور تخُصّ الطّبيعة الإلهيّة الفائقة القداسة، ومن يضع نصب عينه سطوع النّور الإلهيّ والنّعَم، يبدأ بتذوّق التّلألؤ بالنّور منها، وهذا التّلألؤ يظهر في

وجه المُصلّي، كما تمجّد موسى على جبل سيناء عندما تحدّث مع الله، «فنظر هارون وجميع بني إسرائيل موسى وإذا جلدُ وجهه يلمع..» خروج ٣٤:٣٠. كلّ جسد يسوع المسيح كان ممتلئاً من النّور غير المخلوق، والثّياب المُلتصقة بجسده المُقدّس صارت ممتلئة من النّور ذاته. المسيح ظهر لنا على جبل ثابور برداء المجد، ذاك الرّداء الّذي سيرتديه المُتقرّبون إلى الله في يوم القيامة. وما هو رداء الأبرار؟ هو الرّداء الّذي خلعه آدم في الخطيئة ووجد نفسه عرياناً فخجل. هكذا الرّبّ المتجلّي على جبل ثابور، يُبارِك المُجاهدين للارتقاء بسلّم الفضائل المسيحيّة لكي يُبصِروا النّور الإلهيّ غير المخلوق، ليُشارِكوا بملكوت السّماوات والمجد الإلهيّ. خلال حياة الكنيسة الأرثوذكسيّة على الأرض، تُظهر لنا الكنيسة قدّيسين عُظماء الّذين عاشوا بالصّلاة حياة مسيحيّة حقّة، وربّنا باركهم ليُشاركوا بنعمة الله ويتلقّوا النّور غير المخلوق، وعلى سبيل المثال القدّيس غريغوريوس بالاماس الّذي كان يطلب من الرّبّ في صلواتِه: «يا ربّي يسوع المسيح أنر ظُلمَتي».. هو الّذي علّمنا بِعِظاته الطّريق الّتي نسلُك فيها لنتلألأ بالنّور الإلهيّ. كذلك القدّيس باسيليوس الكبير، كتب تلاميذه أنّهم شاهدوه وقت الصّلاة مُتلألأً بالنّور الإلهيّ، وأيضاً القدّيس داود التسالونيكيّ الّذي كان ناسِكاً في دَير لاتومو، كان يشهد عنه سُكّان البلد أنّه في ساعات اللّيل عند صلاته في المغارة كان يخرج نور عظيم من باب المغارة. مثلهم قدّيسون عديدون لغاية اليوم يمارسون الصّلاة القلبيّة (يا ربّي يسوع المسيح ارحمني أنا عبدك الخاطئ) والّتي بواسطتها يُصبحون أوعيةً للرّوح القدس. بظهور موسى وإيليّا مُتحدّثين مع يسوع المسيح كأنّهما في حالة من الصّلاة والعبادة يعلّمان النّاس العِبادة والصّلاة إلى إله إبراهيم، إسحق ويعقوب. إله الأحياء وليس الأموات. موسى اختبر النّور الإلهيّ وسمع في جبل سيناء صوت الله، وفي الصّوم والصّلاة أخذ النّاموس منه. وفي العهد القديم مذكور بأنّ جبل سيناء كان جبلاً مليئاً بالنّور بسبب وجود الله عليه. والنّبيّ إيليّا على جبل الكرمل، وبعد أن دان إيمان الوثنيّين بآلهة بعل؛ صلّى، ونورٌ من السّماء حرق تقدمتهم على المائدة.

إنّ ما يبحث عنه المسيحيّ هو الحياة الجديدة في المسيح. حياة شخصيّة بكلّيته، هو يعلم أنّ نعمة المعموديّة والأفخارستيّا منحته هذه الحياة، إنّه يبحث عنها كذلك داخل نفسه. كلّ خلاصنا يكمن في هذين السّرّين لأنّ تدبير الإله – الإنسان يتلّخص فيها «التّألّه»، المرتكز على المسيح وأسرار الكنيسة الثّلاثة الّتي بها ينال المسيحيّ العضويّة الكاملة في الكنيسة: المعموديّة والميرون (التّثبيت) والأفخارستيّا. إنّه الاندماج العماديّ بالعبادة الحقّة «في الرّوح والحقّ، فالتّألّه هو اندماج بالكلّيّة في الكنيسة والأسرار الّتي تشكّل السّبل إلى الله لأنّ الكنيسة هي جسد المسيح. المتروبوليت فيلاريت الموسكوفي أحد أشهر لاهوتيّي القرن العشرين يقول: «منذ أن صارت الألوهة إلى البشريّة. وُهب لنا كلّ ما هو للحياة. والتّقوى من عطايا قدرته الإلهيّة ستمتلئ عاهاتنا من القوّة الإلهيّة. وكذبنا ستمحوه الحقيقة الإلهيّة. وظلماتنا سينيرها النّور الإلهيّ... هذا هو السّرّ المجيد والمجد السّرّيّ لهذا اليوم. إنّ خدّام النّور السّماويّين قد رأوا قبلنا فجر ذلك المجد ولساعتهم أنبأونا به وصرخوا: المجد لله في أعلى السّماوات. الآن ليس فجراً أبداً بل هو اليوم الكبير لهذا المجد: ليرتفع مجدنا أيضاً، ليرتفع بدوره نحو قاطني السّماوات».

هذا هو التّألّه، هذا هو التّجلّي، هذه هي النّعمة الّتي صارت لنا على جبل ثابور، فأشعلت فينا جهاداً مستمرّاً نفتتحه بجرن المعموديّة ونبنيه بأسرار الكنيسة لنقدّمه إلى الله جسداً أتمّ شوطه فصار هيكلاً حيّاً للرّوح القدس متألّهاً بالنّعمة، مشاركاً فرح الملكوت بالقائم من بين الأموات.

أسئلة وأجوبة

لؤي شاهين

١- من صعد مع الرّبّ يسوع المسيح إلى الجبل؟

أ- مريم المجدليّة - ومريم أمّ الرّبّ - وأليصابات أمّ يوحنّا المعمدان.

ب- يوحنّا أخو الرّبّ - ومريم أمّ الرّبّ - ويوسف النّجّار.

ج- تلاميذ الرّبّ بطرس - ومتّى - ويهوذا.

د- تلاميذ الرّبّ بطرس - ويعقوب - ويوحنّا.

٢- إلى ماذا يرمز الجبل في التّجلّي؟

أ- الكنيسة.

ب- العالم.

ج- الملكوت.

د- لاشيء.

٣- ماذا أثبت الرّبّ يسوع المسيح من خلال التّجلّي على الجبل؟

أ- مجد لاهوته.

ب- أنّه سيُصلَب.

ج- أنّ التّلاميذ هم المستقبل.

د- أنّه هو اللّه.

٤- ماذا فعلوا الّذين رافقوا الرّبّ إلى الجبل؟

أ- ناموا.

ب- أكلوا.

ج- صلّوا.

د- تأكّدوا من سلامة الرّبّ يسوع المسيح وعادوا من حيث أتوا.

٥- ماذا نستفيد من حدث التّجلّي؟

أ- أنْ نصلّي دائماً.

ب- أنْ ننسى كلّ شيء ونتّكِلَ على الرّبّ.

ج- أنّ التّلاميذ هم المستقبل.

د- أنْ لا نخاف.

٦- من ظهر للرّبّ يسوع المسيح على الجبل؟

أ- جبرائيل.

ب- موسى النّبيّ وإبراهيم النّبيّ.

ج- إيليّا النّبيّ وموسى النّبيّ.

د- نوح وآدم.

١: (د) - ٢: (أ) - ٣: (أ)

٤: (أ) - ٥: (أ) - ٦: (ج)

هاتف: ٢٥٦١٧٣٦٧ ٩٦٥+ ـ فاكس: ٢٥٦٣١٥٣٨ ٩٦٥+
صندوق البريد: ص.ب٨١٧٣ السالمية ٢٢٠٥٢ الكويت
الموقع الإلكتروني: www.gulforthodoxchurch.org